قصة أصحاب الجنة في ضوء سورة القلم

دروس وأحكام

د. سامية بنت عطية الله المعبدي

الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدا طيبا يليق بجلاله، أحمده – سبحانه – حمد مقر بعظيم إنعامه، وفيض جوده وإحسانه، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن الله تعالى قد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس أجمع من الظلمات إلى النور، وبعثه ﷺ إلى الثقلين مبشرا ونذيرا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ومع بزوغ دعوته ﷺ وظهور أمره ظهر معارضيه من الكفار ممن امتنعوا عن قبول الحق والانقياد له، فكفروا برسالته وناصبوه العداء، واتهموه بالجنون، ووصفوه بأبشع الصفات، فتولى الله – تعالى – الرد عن نبيه، وجاءت الآيات القرآنية منبرية للدفاع عنه، رادعة لمعاديه.

ولما كان من أقوى الوسائل للردع عن الشر، والزجر عن المعصية التمثل بحالٍ من الواقع وعرض الحقائق في صور مشاهدة مصحوبة بالدليل والبرهان مثّل الله ﷻ لحال الكفار من أهل مكة بحال أصحاب الجنة بجامع البطر ومقابلة النعمة بكفرها، وعدم القيام بحقها من الشكر.

من هنا وقع اختياري لهذه القصة القرآنية التي ذكرها الله ﷻ في سورة القلم، لإظهار العبرة من سياقها، واستنباط ما فيها من هدايات وأحكام وقد جعلت موضوع هذا البحث (قصة أصحاب الجنة في ضوء سورة القلم دروس وأحكام).

وتظهر أهمية هذا الموضوع من حيث تعلقه بكتاب الله – تعالى -، وارتباطه بالتدبر المأمور به في قوله سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة ص/ آية ٢٩].

إلى جانب أن هذه القصة جمعت بين أسلوبي القصص، والأمثال فهي مسوقة في صورة قصة، غايتها التمثيل لحال كفار مكة بحال أصحاب تلك الجنة، ولا يخفى أهمية هذين الأسلوبين في تقرير الحق والدعوة إلى الله سبحانه.

أهداف البحث:

١. استنباط الدروس والهدايات من آيات القرآن الكريم.

٢. الوقوف على أسلوب القرآن الكريم في الوعظ والزجر.

٣. الاعتبار بقصص السابقين، وأخذ العظة منها.

٤. اتصال موضوع هذه القصة بحياة الناس، فما من عبد إلا وساق الله له من الشدائد ما ساق.

٥. العلم بسنن الله الإلهية في الخلق إذ أن تلك السنن لا تبديل فيها ولا تحويل.

منهج البحث:

١- اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي والاستنباطي، وذلك بالنظر في آيات القصة، واستنباط ما فيها من دروس وأحكام.

٢- الربط بين ما تم استنباطه من دروس وموضع الاستنباط في القصة.

٣- الاستشهاد على ما في القصة من هدايات بأقوال أهل العلم، مع توثيق أقوالهم بالإحالة إلى مواضعها من كتبهم، بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة.

٤- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن

٥- تخريج الأحاديث من مصادرها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت، وإن كان في غيرهما خرجته من مصادره مع ذكر حكم العلماء عليه إن وجد.

٦- التعريف بالأماكن الوارد ذكرها في البحث.

٧- التعريف بغريب الألفاظ.

٨- التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم – عدا المشهورين منهم- تعريفا موجزا.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، تلتهما الخاتمة.

- المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأهدافه، ومنهج البحث فيه، وخطته.
- التمهيد: ويتضمن التعريف بسورة القلم، وبيان محور السورة.
- الفصل الأول: القصة في القرآن الكريم، وقد اشتمل على مبحثين.

المبحث الأول: التعريف بالقصة، وخصائص القصص القرآني، وفوائده.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقصة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: خصائص القصص القرآني.

المطلب الثالث: فوائد القصص القرآني.

المبحث الثاني: قصة أصحاب الجنة والغرض العام منها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قصة أصحاب الجنة.

المطلب الثاني: الغرض العام من القصة.

- الفصل الثاني: الدروس والأحكام المستنبطة من قصة أصحاب الجنة، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الابتلاء يكون بالخير كما يكون بالشر.

المبحث الثاني: التحذير من البخل، والحث على البذل والعطاء.

المبحث الثالث: العزم على السيئة سيئة يؤاخذ عليها العبد.

المبحث الرابع: العبد يحرم الخير بالذنب يجنيه.

المبحث الخامس: التضييق على العبد سببه في توبته.

المبحث السادس: فضل العدل، والحث على القيام به.

المبحث السابع: الأحكام الفقهية المستنبطة من قصة أصحاب الجنة.

- الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- الفهارس.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد:

التعريف بسورة القلم:

سميت هذه السورة بسورة القلم؛ لافتتاحها بالقسم به في قوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[القلم/ ١] وهو الاسم الأشهر لها؛ وبه سميت في معظم التفاسير(١)، كذلك تسمى بسورة (ن) قال مقاتل: "ولها إسمان، سورة ن وسورة القلم وهذا أشهر" (٢).

وقد يجمع بينهما في التسمية فيقال سورة ن والقلم (٣)، قال الطاهر بن عاشور: "وفي صحيح البخاري سورة ن والقلم على حكاية اللفظين الواقعين في أولها، أي سورة هذا اللفظ، وترجمها الترمذي في جامعه وبعض المفسرين سورة (ن) بالاقتصار على الحرف المفرد الذي افتتحت به، وفي بعض المصاحف سميت سورة القلم" (٤).

وعدد آيات هذه السورة اثنتان وخمسون آية(٥). ليس فيها اختلاف.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان/ (٣٩٧/٤)؛ بحر العلوم/ لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي /(٤٨٠/٣)؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن/ أحمد بن محمد الثعلبي/ (٥\٨/١٠)؛ معالم التنزيل/ الحسين بن مسعود البغوي/ (١٢٩/٥)؛ زاد المسير في علم التفسير/ عبدالرحمن بن علي بن الجوزي/ (٣١٨/٤)؛ البحر المحيط في التفسير/ أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي/ (٢٣١/١٠) وغيرها.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان/ (٣٩٧/٤)؛ وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ محمد بن جرير الطبري/ (٥٢١/٢٣).

(٣) انظر تفسير عبدالرزاق/ أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني/ (٣٢٩/٣).

(٤) التحرير والتنوير / (٥٧/٢٩).

(٥) انظر البيان في عد آي القرآن/ لأبي عمرو الداني/ ص ٢٥٢، الكشف والبيان للثعلبي /(٥/١٠)؛ معالم التنزيل للبغوي / (١٢٩/٥)؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور/جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي/(٢٤٠/٨)؛ محاسن التأويل/محمد جمال الدين القاسمي/(٢٩٦/٩)؛ = =التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور/ (٥٨/٢٩).

وقد ذهب معظم المفسرين إلى أن هذه السورة مكية نزلت قبل الهجرة [٦]، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك[٧].

في حين ذكر بعض المفسرين عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وقتادة[٨] أن فيها آيات مدنية، وهي قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[٩]. وهو ما ضعفه سيد قطب في تفسيره حيث قال: "كذلك ذكرت بعض الروايات أن في السورة آيات مدنية... ونحن نستبعد هذا ونعتقد أن السورة كلها مكية؛ لأن طابع هذه الآيات عميق في مكيّته" .[١٠]

---

(٦) انظر بحر العلوم للسمرقندي/ (٤٨٠/٣)؛ الكشف والبيان للثعلبي / (٥/١٠)؛ معالم التنزيل للبغوي / (١٢٩/٥)؛ تفسير القرآن العظيم/ إسماعيل بن عمرو بن كثير/ (٨//٢٠٣)؛ الدر المنثور للسيوطي/ (٢٤٠/٨)؛ محاسن التأويل للقاسمي (٢٩٦/٩).

(٧) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ابن عطية الأندلسي/ (١١٨/٦)؛ زاد المسير لابن الجوزي/ (٣١٨/٤).

(٨) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، يقال ولد أكمه وهو رأس الطبقة الرابعة على ترتيب ابن حجر، مات سنة بضع عشرة ومائة. سير أعلام النبلاء/ للذهبي/ (٢٦٩/٥)؛ تهذيب التهذيب/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/(٤٢٨/٣-٤٣٠)؛ تقريب التهذيب/ لابن حجر العسقلاني/ ص ٧٩٨.

(٩) انظر النكت والعيون/ للماوردي/ (٥٩/٦)؛ الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي/ (١٨ / (٢٢) وعزاه للماوردي؛ الإتقان في علوم القرآن/ للسيوطي (٦٦/١). التحرير والتنوير / للطاهر ابن عاشور/ (٥٧/٢٩-٥٨).

(١٠) في ظلال القرآن/ سيد قطب/ (٣٦٥١/٦).

كذا قال محمد طنطاوي: "والذي تطمئن إليه النفس أن سورة (ن) من السور المكية الخالصة؛ لأنه لم يقم دليل مقنع على أن فيها آيات مدنية، بجانب أن أسلوبها وموضوعاتها تشير إلى أنها من السور المكية الخالصة. (١١)

وتعدّ سورة القلم من أوائل ما نزل على النبي ﷺ من القرآن بمكة، بل قد ذكر السيوطي في الإتقان أنها السورة الثانية في النزول بعد سورة العلق (١٢)، وهذا مخالف لما عليه جمهور العلماء من المفسرين وغيرهم، فقد ذهبوا إلى أن سورة المدثر هي السورة الثانية في ترتيب النزول، ومما يقوي قول الجمهور أسلوبُ سورة القلم وموضوعاتها، فإنها تقتضي تأخرها في النزول بعض الشيء، أي أنها ليست مما نزل في أوائل البعثة، بل كان نزولها بعد ظهور أمر النبي ﷺ، وجهره بالدعوة إلى الإسلام مما جعل كفار قريش يتعرضون له بالأذى، ويتهمونه بالجنون.

يقول سيد قطب:" والذي نرجحه بشأن السورة كلها أنها ليست الثانية في ترتيب النزول، وأنها نزلت بعد فترة من البعثة النبوية بعد أمر النبي- ﷺ – بالدعوة العامة، وبعد قول الله تعالى له: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[الشعراء/٢١٤]، وبعد نزول طائفة من القرآن فيها شيء من قصص الأولين وأخبارهم التي قال عنها قائلهم: (أساطير الأولين)، وبعدما أصبحت قريش مدعوة إلى الإسلام كافة، وأصبحت تدفع هذه الدعوة بالاتهامات الباطلة والحرب العنيفة التي اقتضت تلك الحملة العنيفة الواردة في السورة على المكذبين، والتهديد القاصم في أولها وفي آخرها على السواء. والمشهد الأخير في السورة يوحي بهذا كذلك: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[القلم/ آية ٥١[فهو مشهد دعوة عامة لمجموعات كبيرة، ولم يكن الأمر كذلك في أول الدعوة، إنما كانت الدعوة توجه إلى أفراد بوسيلة فردية، ولا تُلقى إلى الذين كفروا وهم مجتمعون، ولم يقع شيء من هذا - كما تقول الروايات الراجحة – إلا بعد ثلاث

(١١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ (٣٣/١٥-٣٤).

(١٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي / (٩٦/١)؛ وانظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ للفيروز آبادي / (٩٨/١)؛ فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير/ للشوكاني/ (٣١٨/٥)؛ تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي/ (٢٦/٢٩).

سنوات من بدء الدعوة، والسورة تشير إلى شيء من عروض المشركين على النبي ﷺ للالتقاء في منتصف الطريق، والتهادن على تراضٍ في القضية التي يختلفون عليها وهي قضية العقيدة ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾[القلم/ آية ٩]وظاهرٌ أن هذه المحاولة لا تكون والدعوة فردية ولا خطر منها، إنما تكون بعد ظهورها، وشعور المشركين بخطرها.

وهكذا تتضافر الشواهد على أن هذه السورة نزلت متأخرة عن أيام الدعوة الأولى، وأن هناك ثلاث سنوات على الأقل – قابلة للزيادة – بين بدء الدعوة وبين وقت نزولها، ولا يعقل أن ثلاث سنوات مرت لم يتنزل فيها قرآناً، والطبيعي أن تكون هناك سورا كثيرة، وأجزاء من سور قد نزلت في هذه الفترة، تتحدث عن ذات العقيدة بدون مهاجمة عنيفة للمكذبين بها كالوارد في هذه السورة منذ مطلعها.

ولكن هذا لا ينفي أن تكون هذه السورة قد نزلت في الفترة الأولى من الدعوة، وإن لم يكن ذلك أول ما نزل كما هو وارد في المصاحف للأسباب التي أوردناها "[١٣].

(١٣) في ظلال القرآن / سيد قطب / (٦/٣٦٥٠-٣٦٥١).

محور سورة القلم:

المحور الذي تدور عليه سورة القلم إثبات النبوة للرسول -عليه الصلاة والسلام-، فجاءت آيات السورة مقررة لهذا المحور، حيث ابتدأت بالقسم على براءة النبي - ﷺ- مما ألصقه به المشركون من تهمة الجنون، وأثنت عليه بأفضل أنواع الثناء وامتدحته بالخلق العظيم الذي هو قرين العقل الراجح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾ القلم: ٢ – ٤.

ثم انبرت آيات السورة تبكت أعدائه وتتوعدهم بما يطمئن قلبه ويسليه عما أصابه منهم﴿ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القلم/ الآيات: ٥-٧]، وفي الوقت ذاته تنهاهﷺ عن مداهنة المشركين أو موافقتهم على مقترحاتهم الباطلة ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴾[القلم/ الآيات: ٨–١٠].

ثم ضربت السورة مثلا لكفار مكة لعلهم يتعظون، ويتركون الجحود والبطر بنعم الله والتي أجلها وأعظمها عليهم بعثته ﷺ فيهم، وقارنت في سياقها بين عاقبة الأخيار والأشرار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾] الأنفال: ٤٢].

كذلك اشتملت الآيات على تسفيه عقول المشركين، وتهديدهم بأقصى ألوان التهديد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾]القلم: ٣٥]، ثم ختمت السورة بتكرار التسلية له ﷺ والأمر له بالصبر على أذى أعدائه، وتطمينه أن العاقبة ستكون له والخسران والهلاك للمكذبين برسالته.

يقول الفيروز آبادي:" معظم مقصود السورة الذب عن النبي ﷺ، وعذاب مانعي الزكاة، وتخويف الكفار بالقيامة، وتهديد المجرمين بالاستدراج، وأمر الرسول ﷺ بالصبر،

والإشارة إلى حال يونس عليه السلام في قلة الصبر، وقصد الكفار رسول الله ﷺ ليصيبوه بالعين في ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [القلم: ٥١][١٤].

ويقول سيد قطب: "ومن ثم نرى... أن الله كأنما يحتضن رسوله والحفنة المؤمنة معه ويواسيه ويسري عنه، ويثني عليه وعلى المؤمنين، ويبرز العنصر الأخلاقي الذي يتمثل في هذه الدعوة وفي نبيها الكريم وينفي عنه ما يقوله المتقوّلون عنه، ويطمئن قلوب المستضعفين بأنه هو يتولى عنهم حرب أعدائهم ويعفيهم من التفكير في أمر هؤلاء الأعداء الأقوياء الأغنياء" [١٥].

(١٤) بصائر ذوي التمييز / (٤٧٦/١).
(١٥) في ظلال القرآن / (٣٦٥٣/٦).

الفصل الأول: القصة في القرآن الكريم

المبحث الأول: التعريف بالقصة، وخصائص القصص القرآني، وفوائده

المطلب الأول: التعريف بالقصة لغة واصطلاحاً.

مادة (قصّ) في اللغة تأتي بمعنى اتباع الأثر، مادياً كان أو معنوياً، والقصة: الخبر والأمر والحديث.

يقول ابن فارس: "القاف والصاد أصل صحيح، يدلّ على تتبع الشيء من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا اتبعته" (١٦)، وفي لسان العرب: "القصة الأمر والحديث، واقتصصت الحديث: رويته على وجهه..، يقال قصصت الرؤيا على فلان إذا أخبرته بها، والقاص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها" (١٧)

وفي مفردات الراغب: (قصّ) القصّ تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره. والقصص: الأثر قال تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾]الكهف/ ٦٤]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ ﴾]القصص/١١]... والقصص الأخبار المتَتَبَّعة، قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ ﴾] آل عمران/٦٢]، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾]يوسف: ١١١]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾]القصص: ٢٥].

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾] يوسف/٣]، ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ ﴾[الأعراف/ ٧]."(١٨).

وهذه الأقوال في كتب اللغة متقاربة المعنى؛ إذ مدارها على التتبع سواء أكان تتبعاً للأثر، أم تتبعاً للأقوال والمعاني لحكايتها.

(١٦) معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس / (٥ / ١١) / مادة (قص).

(١٧) انظر: لسان العرب / ابن منظور/ (٧٤/٧) / فصل القاف/ مادة (قصص).

(١٨) المفردات في غريب القرآن/ الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني/ ص ٦٧١. مادة (قصص).

أما القصة في الاصطلاح فلها تعاريف كثيرة لدى العلماء، منها ما ذكره الرازي أنها" مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق، ويأمر بطلب النجاة "[19]، وقيل هي:" كشف عن آثار، وتنقيب عن أحداثٍ نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، وإلفاتهم إليها، ليكون لهم منها عبرة وموعظة "[20]. أما قصص القرآن فهي:" إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة "[21].

وقصص القرآن الكريم ليست أخباراً تتبعها الرسول ﷺ وقصها علينا سارداً أحداثها، بل هي وحي من عند الله تعالى، وهي وقائع حقيقية ذكرها الله- تعالى – بأسلوب واضح معجز، غاية في البيان، لأغراض متنوعة ومقاصد متعددة.

المطلب الثاني: خصائص القصص القرآني

للقصة في القرآن الكريم خصائص منها:

١. كونها ربانية المصدر، حيث نسبها الله تعالى إليه في قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾] يوسف/٣]؛ لذا امتازت بالبلاغة المتناهية، والإعجاز، وفاقت بقية القصص عظمة وتأثيرا.

٢. مطابقتها للواقع، وصدقها. يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ يوسف: ١١١.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ آل عمران: ٦٢، ويقول عز من قائل: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾[الكهف / ١٣]، وغيرها من الآيات الدالة على أن ما ورد في القرآن الكريم من قصص وأحداث وأخبار إنما هو حقيقة واقعة، وليست من نسج الخيال" فكل ما في قصص القرآن الكريم من أخبار الأولين هي حقائق تاريخية صادقة، لا

(١٩) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي/ (٢٥٠/٨).

(٢٠) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه/ عبدالكريم الخطيب/ ص٤٨.

(٢١) مباحث في علوم القرآن/ مناع القطان/ ص٣١٦.

يصادمها عقل؛ ولا يخالفها نقل، وسواء في تلك المصداقية ما كان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، وما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات كانفلاق البحر وكلام الهدهد والنملة، وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع، ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة، ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة "[٢٢].

٣. الشمولية المطلقة، وتظهر هذه الشمولية من عدة جهات:

- حصر النفوس المخاطبة وطباعها ووجهاتها ومكامن شعورها.
- تنوع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقه ولون.
- زمانها، فالقصة القرآنية قد تكون حدثت في الماضي، أو تدور أحداثها في الزمن الحاضر.
- موضوعاتها، فقصص القرآن شاملة لجميع موضوعاته من عقائد، وعبادات، وأخلاق وآداب[٢٣].

٤. امتازت بعض القصص القرآنية بالتكرار الهادف، حيث ذكرت في أكثر من سورة، وعرضت في كل سورة بما يلائم وحدتها الموضوعية وسياقها، وهي في كل عرضٍ تكمل جانباً من جوانبها أو تكشف حدثاً من أحداثها. يقول الزركشي:" القصة الواحدة من هذه القصص... وإن ظُنَّ أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان، وتقديم وتأخير، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنىً زائد فيه، لا يُوقف عليه إلاّ منها دون غيرها ". [٢٤]، ويقول سيد قطب:" قد يحسب أناسٌ أن هناك تكراراً في القصص القرآني لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد إنه ما من قصة أو حلقة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يُساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار "[٢٥].

([٢٢]) القصة ا لقرآنية هداية وبيان/ د. وهبة الزحيلي/ ص ١٨.

([٢٣]) الدعوة إلى الله / ص ١٦٢ بتصرف واختصار.

([٢٤]) البرهان في علوم القرآن / (٢٧/٣).

([٢٥]) في ظلال القرآن / (٦٤/١).

ولهذا التكرار فوائد منها:

أ- إبراز فصاحة القرآن الكريم، وعلو كعبه في البيان،" فإن إعادة القصة الواحدة بألفاظٍ مختلفة تؤدي معنىً واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتتبين فيه البلاغة "(٢٦)، يقول النورسي:" إن القرآن الكريم يُظهر نوعاً من إعجازه البديع أيضاً في تكراره البليغ لجملة واحدة أو لفظة، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى عدة معانٍ وعبرٍ كثيرة في تلك الآية أو القصة فاقتضى التكرار، حيث إنه كتاب دعاء ودعوة، كما أنه كتاب ذكر وتوحيد وكل من هذا يقتضي التكرار، فكل ما كُرّر في القرآن الكريم إذاً من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة "(٢٧).

ب- إظهار إعجاز القرآن الكريم؛ فإنه سبحانه" كرر ذكر القصة في مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظمٍ جاءوا، وبأي عبارةٍ عبَّروا "(٢٨)، يقول الباقلاني:" وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة، على ترتيبات متفاوتة، ونُبِّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرراً "(٢٩).

ج- مراعاة النفس البشرية المجبولة على حب التغيير والتنويع، فعُرِضت القصة في أكثر من موضع بأساليب مختلفة حتى لا تمل النفوس وتسأم، يقول الزركشي:" إن المعاني التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة في تارات التكرير، فيجد البليغ – لما فيها من التغيير – ميلاً إلى سماعها؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفه "(٣٠).

د- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس؛ فإن التكرار من طرق التأكيد وإمارات الاهتمام، بل التكرار أبلغ من التأكيد، فالتكرار تأسيس والتأكيد فرع، وتكرار التأسيس أقوى من التأكيد" (٣١).

(٢٦) إعجاز القرآن الكريم/ أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني/ (٩٤/١).
(٢٧) المعجزات القرآنية/ بديع الزمان سعيد النورسي/ ترجمة إحسان الصالحي/ ص ١٨٤-١٨٥.
(٢٨) البرهان في علوم القرآن/ بدر الدين الزركشي / (٢٧/٣).
(٢٩) إعجاز القرآن / أبو بكر الباقلاني/ (٩٤/١).
(٣٠) البرهان في علوم القرآن / بدر الدين الزركشي / (٢٨/٣).
(٣١) دراسات في علوم القرآن الكريم/ فهد بن عبدالرحمن الرومي/ ص٦١٣.

المطلب الثالث: فوائد القصص القرآني

أولاً: تثبيت فؤاد الرسول ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾[هود: ١٢٠]، وهذا الغرض من أهم أغراض القصة في القرآن الكريم، ومن أجله أورد الله ﷻ قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ ليبين لنبيه الكريم ﷺ أن جميع الرسل – عليهم السلام –قبله قد لاقوا ما لقي من الشدة والأذى والتكذيب ومع ذلك تسلحوا بالصبر، وكانوا أولى عزمٍ وإصرار وثبات في طريق دعوتهم إلى الله تعالى.

كذلك جاءت تلك القصص مبينة أن العاقبة للأنبياء– عليهم السلام - وأتباعهم، وأن الله ﷻ قد كتب ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾[المجادلة: ٢١].

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[المنافقون: ٨]كل ذلك يزهر في قلب النبي ﷺ أمناً وطمأنينة، وثباتاً على طريق الحق، وثقة بأن العاقبة ستكون له ولمن معه من المؤمنين.

ثانياً: إثبات الرسالة للنبي ﷺ، وإظهار صدقه؛ فإنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون)[العنكبوت/آية ٤]، ولم يثبت عنه مجالسته لأحبار اليهود والنصارى أو يُعرف عنه ذلك؛ فورود هذه القصص المتضمنة أخبار الأنبياء السابقين وأحوال الأمم الغابرة بشيء من التفصيل والدقة لهو دليل ثابت على رسالته وأنه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[النجم: ٣ – ٤]، وقد أشار الله ﷻإلى ذلك في كتابه حيث قال: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [سورة يوسف/ الآية٣]، وقال ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[سورة هود/ الآية ٤٩].

ثالثا: تأكيد صدق الأنبياء السابقين – عليهم السلام - "فالقرآن يصرح برسالتهم ونبوتهم وصدقهم، ويصرّح بأسمائهم، ويشهد لهم بالصدق وتبليغ الدعوة؛ فليس لأحد أن يشك في نبوتهم

ولذا كان الإيمان بالرسل – عليهم السلام – من أركان الإيمان لمجيئه عن طريق القرآن المتواتر" (٣٢).

رابعاً: التنبيه على أن دعوة الأنبياء – عليهم السلام – ورسالتهم واحدة، وأن شرائعهم لا تعارض فيها ولا اختلاف؛ فكل نبي جاء داعيًا قومه إلى التوحيد مصححاً عقائدهم وأخلاقهم، ساعياً لإصلاح سلوكهم، مقوماً ما اعوجّ من أخلاقهم وأفعالهم.

خامساً: أخذ العظة والعبرة "بأن نفقه ما جاء في هذه القصص من أخبار وحقائق ومعاني، وأنماط من المدافعات بين أهل الحق والباطل، وأن نعتبر به" (٣٣) فهذه القصص مسوقة لبيان سنن الله ﷻفي خلقه، وهي سنن جرت على الماضين وتجري على اللاحقين، فكل ذي لبٍّ يعتبر بمن قبله ويتعظ بما آل إليه أمرهم بسبب عنادهم واستكبارهم على الحق المبين وصدق الله القائل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ **[يوسف/ الآية ١١١]**.

سادساً: القصة ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس(٣٤).

(٣٢) دراسات في علوم القرآن/ فهد الرومي / ص٦٠٩.

(٣٣) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة/ عبدالكريم زيدان/ (١/ ٧).

(٣٤) مباحث في علوم القرآن / مناع القطان / ص٣٠٧.

المبحث الثاني: قصة أصحاب الجنة، والغرض العام منها.

المطلب الأول: قصة أصحاب الجنة (٣٥)

أصحاب الجنة هم ثلاثة إخوة من بلاد اليمن(٣٦)، وقيل من بلاد الحبشة (٣٧)كانت لأبيهم جنةٌ ذات زروع وثمار وحرثٍ يغتلّه(٣٨)، فكان دأبه أن يمسك من تلك الغلة قوته، ويتصدق بباقيه على الفقراء والمساكين.

وقيل: إنه كان يحمل معه المساكين إلى جنته وقت الحصاد، فيجعل لهم كل ما تعدّاه المنجل(٣٩) فلم يجذَّه(٤٠) من الكَرْم، فإذا طُرح على البساط فكل شيء سقط عن البساط فهو أيضاً للمساكين، فإذا داسوا كان لهم كل شيء ينتشر.

---

(٣٥) انظر قصتهم في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن / للطبري/ (٥٤٣/٢٣)؛ بحر العلوم / للسمرقندي/ (٤٨٣/٣)؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن / للثعلبي/ (١٦/١٠)؛ معالم التنزيل / للبغوي / (١٣٧/٥)؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطية/ (٤٩٣/٥)؛ البحر المحيط في التفسير / لأبي حيان/ (٢٤١/١٠)؛ زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي / (٣٢٣/٤)؛ مفاتيح الغيب / للرازي/ (٦٠٧/٣٠)؛ الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي/ (٢٣٩/١٨)؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد / للواحدي/ (٣٣٧/٤)؛ التحرير والتنوير / لابن عاشور/ (٨٠/٢٩).

(٣٦) اليَمَن – بالتحريك-: بلاد واسعة من عُمان إلى نجران، تسمّى الخضرة لكثرة أشجارها وزروعها، وأهلها أرق الناس أفئدةً وأعرفهم للحق. واليمن قسمان، ما كان نحو البحر فهو غَوْر واسمه تهامة وقصبته زُبيَد، وما كان من ناحية الجبل فهو بلاد باردة تسمى نجداً قصبتها صنعاء، وباليمن الأحقاف مساكن قوم عاد، وهي الآن تلال من الرمل بين عدن وحضرموت. انظر أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ للمقدسي/ (٦٩/١)؛ معجم البلدان/ ياقوت الحموي/ (٤٤٧/٥)؛ آثار البلاد وأخبار العباد/ للقزويني/ ص٦٥.

(٣٧) الحبشة: أرض واسعة تقع على بحر القلزم، يحدها شمالاً الخليج البربري، وجنوباً البرية التي بين النوبة وبحر القلزم، وشرقها بلاد الزنج، وغربها البجة. كان أكثر أهلها النصارى، والمسلمون بها قليل، تمتاز الحبشة بقلة الأمطار، ويعتمد أهلها على الإبل. انظر: المسالك والممالك/ للاصطخري / ص ١١؛ آثار البلاد وأخبار العباد/ للقزويني / ص ٢٠.

(٣٨) الغَلَّة: كل ما يحصل من ريع الأرض أو كِرائها، أو أجرة غلام أو نحو ذلك، وقد أغلَّت الضيعة فهي مُغِلَّة أي ذات غلة. المغرب في ترتيب المعرب/ ناصر بن عبد السيد الخوارزمي المُطَرَّزِي / ص ٣٤٤؛ وانظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ أحمد محمد الفيومي/ (٤٥١/٢).

(٣٩) المِنْجل - بكسر الميم وسكون النون- الذي يقطع به العود. (انظر تهذيب اللغة / للأزهري / (٥٧/١١).

(٤٠) جذّ الشيء يجده جذّاً إذا استأصله قطعاً، وجذّ النخل جذاً وجذاذاً قطع ثمره وجناه. المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة / (١١٢/١).

فلما مات الأب انتقل ملك تلك الجنة إلى أولاده من بعده، وورثها هؤلاء الإخوة الذين ورد وصفهم في القرآن الكريم بكونهم (أصحاب الجنة)، ومع ما كان في جنتهم من الثمار الكثيرة، والخيرات العظيمة إلاَّ أنهم قالوا والله إن المال لقليل وإنّ العيال لكثير، وإنما كان هذا ا لأمر يُفعل إذا كان المال كثيراً والعيال قليلاً، فأمّا إذا قلّ المال وكثر العيال فإنّا لا نستطيع أن نفعل هذا.

فعزموا على منع المساكين ما كان يعطيه لهم أبوهم، وأقسموا على الخروج إلى جنتهم غدوة قبل خروج الناس إلى أعمالهم ومصالحهم، فليصرِمُنَّ[٤١] نخلها، وليَجُذُّنّ ثمرها، وليستأثرُنّ به كله﴿ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴾]القلم: ١٨[أي لا يقولون إن شاء الله، وقيل لا يستثنون حق المساكين ونصيبهم من تلك الثمار.

وهكذا تعاهد الأخوة على هذا الأمر ليلاً، ثم دخل كل منهم بيته، وآوى إلى فراشه، ففي الصباح الباكر موعدهم لتحقيق هدفهم، وتنفيذ اتفاقهم.

وتنتقل القصة لتصور مشهداً آخر في مواجهة تدبير أصحاب الجنة، وما عقدوا عليه العزم، إنه تدبير الله ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾[القلم: ١٩ – ٢٠] فالفاء في قوله ﴿فَطَافَ﴾ تدل على أن أمر الله نزل بجنتهم بعد أن عقدوا العزم على فعلتهم على وجه السرعة، وقوله: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا﴾ يشعِر أنه قد أحيط بها من كل جانب حتى لم يبق منها شيء.

وقد كان ذلك الطائف ناراً أُنزلت من السماء فأحرقتها، فصارت تلك الجنة الخضراء ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾، أي كالليل المسودّ وقيل: كالرماد الأسود، وقيل: قد ذهب ما فيها من الثمر كأنه قد صُرِم أي قطع وجدّ.

(٤١) الصَرْم: صَرَمتُ الشيء صرماً أي قطعته، والصَرْم القطع البائن للحبل والعذق، وصَرَم النخل النخل أي جذّه، وأصرم النخل إذا حان وقت صرامه. انظر تهذيب اللغة/ (١٣٠/١٢)؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ للجوهري / (١٩٦٥/٥).

وفي التعبير بقوله: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ إشارة إلى أن ما أوتوه من الخير هو محض فضل الله عليهم، وإنعامه المستوجب للشكر، كما يشعر بقدرة الله ﷻ وأنه قد أحاط بكل شيء علماً فلم يخفَ عليه ما بيته أصحاب الجنة، وكان جزاؤه إياهم من جنس عملهم.

وفي الوقت الذي أذهب الله فيه جنتهم، أظهر التصوير القرآني حالهم، وأنهم في سباتهم مستغرقون، وبلذيذ الكرى متنعمون، غافلون عما نزل بجنتهم وحاق بها.

بدأ خيط الفجر بالظهور وفي ذات الوقت بدأ أصحاب الجنة بالاستيقاظ من نومهم، وجعل كل منهم ينادي أخاه ليوقظه فهم ذو عزيمة لا تنثني، وإصرار على تنفيذ ما تمالئوا عليه وخططوا له، ثم انطلقوا (وهم يتخافتون) يتناجون بينهم خوفاً من أن يشعر بهم المساكين وكانت نجواهم ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾.

﴿ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾[القلم: ٢٥]على أمر قد قصدوه واعتدوه، واستسروه بينهم ﴿قَٰدِرِينَ ً في زعمهم أن يمنعوا الفقراء حقهم ويضيقوا عليهم.

فلما انتهى بهم الطريق إلى جنتهم، ورأوا أمامهم أرضاً محترقة لا ثمر فيها ولا شجر ظنوا بادي الأمر أنهم قد أخطأوا طريقها فقالوا: ﴿ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾، ثم لما تحققوها وعلموا أنها هي استفاقوا من غفلتهم ورجعوا على أنفسهم باللائمة على بطرهم وإهمال شكر النعمة التي سيقت إليهم وعلموا أنهم أخذوا بسبب ذلك فقالوا: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾[القلم: ٢٧]قد حُرِّمنا غلتها وبركتها.

حينها ذكرهم خيرهم وأعقلهم، مَنْ كان أعدلهم طريقة وأحسنهم قولاً قائلاً: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾، وقد كان التسبيح عندهم استثناءً أي هلاّ استثنيتم حق المساكين، وقيل أي تستثنون وتقولون إن شاء الله.

وقد كان تذكيره لهم دافعا إلى اعترافهم على أنفسهم بالظلم، ومبادرتهم إلى التسبيح، ثم حاول كل منهم التملص من فعلته وإلقاء اللوم على الآخرين ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾[القلم: ٣٠ [أي جعل كل واحد منهم اللوم في حيز صاحبه، وبرّأ نفسه ثم أجمعوا

على أنهم قد طغوا، وتعدّوا ما يلزم من مواساة المساكين والتجأوا إلى الله ﷻ راجين منه قبول توبتهم وأن يبدلهم بسبب تلك التوبة خيراً من جنتهم.

المطلب الثاني: الغرض العام من القصة

أورد الله ﷻ قصة أصحاب الجنة مثلاً لكفار قريش الذين أسبغ عليهم النعم ظاهرة وباطنة فأعرضوا عن طلب رضاه وشكر نعمته؛ فإن الله تعالى أمدَّ أهل مكة بالنعم العظيمة والآلاء الجسيمة حيث أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ويسّر لهم سبل التجارة في رحلتي الشتاء والصيف، ثم أتمّ لهم النعمة بأن بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فطغوا وأعرضوا وقابلوا النعمة بكفرها ولم يؤدوا حقها شكراً، حالهم كحال أصحاب الجنة الذين أرخى الله لهم الحبل بالنعم فجحدوها فذكر الله لهم ما حل بأصحاب الجنة من البؤس بعد النعيم، والضراء بعد السراء؛ تحذيراً لكفار مكة أن تكون عاقبتهم كعاقبة أولئك، وتحريضاً لهم أن يبادروا إلى التوبة والندم كما فعل أصحاب الجنة حيث سارعوا إلى الإنابة بعد ما حلت عليهم العقوبة، وسألوا الله عوض خير.

يقول الحافظ ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله ﷻ لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والمحاربة" (٤٢)، فضرب الله هذا المثل لكفار قريش تعريضاً بهم؛ وتحريضاً لهم أن يتداركوا أمرهم ويبادروا إلى الإيمان بالله، والتوبة والندم على ما هم فيه من الإعراض، قال ابن عطية: "فشبه الله ﷻ قريشاً بهم في أنهم امتحنهم بمحمد ﷺ وهداه كما امتحن أولئك بفعل أبيهم، وبأوامر شرعهم، فكما حلّ بأولئك العقاب في جنتهم كذلك يحلّ بهؤلاء في جميع دنياهم وفي حياتهم، ثم التوبة معروضة لمن بقي منهم كما تاب أولئك" (٤٣).

وقال المراغي: "أي إنا امتحنا كفار مكة بما تظاهر عليهم من النعم والآلاء، وما رحمناهم به من واسع العطاء؛ لنرى حالهم أيشكرون هذه النعم ويؤدون حقها وينيبون إلى ربهم ويتبعون الداعي لهم إلى سبيل الرشاد وهو الرسول ﷺ... أم يكفرون به ويكذبونه

(٤٢) تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير / (٨/٢١٣).
(٤٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لابن عطية / (٥/٣٤٩).

فيجحدون حق الله عليهم، فيبتليهم بعذاب من عنده ويبيد تلك النعم جزاء كفرانهم وجحودهم، كما اختبرنا أصحاب ذلك البستان الذين منعوا حق الله فيه وعزموا على ألاّ يؤدوا زكاته.. فحق عليهم من الجزاء ما هم له أهل ودمره شر التدمير" (٤٤)

يفهم -مما سبق- أن البلوى المقصودة في قوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾] القلم: ١٧[هي بلوى بالخير، ليُرى هل يشكروا أم يكفروا، في حين ذهب بعض المفسرين إلى أن الابتلاء المقصود في الآية هو ابتلاء الله لأهل مكة بالجوع والقحط، حيث ابتلاهم بسبع سنين بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، يقول القرطبي: "والمعنى أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليبطروا، فلما بَطِرُوا وعادوا محمداً ﷺ ابتليناهم بالجوع والقحط، كما بلونا أهل الجنة المعروف خبرها عندهم" (٤٥).

وقد أورد القاسمي القولين في تفسيره حيث قال: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾]القلم: ١٧[أي بلونا مشركي مكة فاختبرنا بهذا التنزيل الحكيم هل يشكرون نعمته فيحيوا حياة طيبة، أو يصرون على تكذيبه فلا تكون عاقبتهم إلاّ كعاقبة أهل الجنة في امتحانهم الآتي، ثم دمارهم. وقيل معناه أصبناهم ببلية وهي القحط والجوع، بدعوة رسول الله ﷺ كما بلونا أصحاب الجنة "(٤٦).

وقد كان المثل المضروب لكفار مكة مثلا بقصةٍ كانت معروفة عندهم، شائع ذكرها بينهم، يقول سيد قطب:" وكذلك يسوق إلى قريش هذه التجربة من واقع البيئة، ومما هو متداول بينهم من القصص، فيربط بين سننه في الغابرين وسننه في الحاضرين، ويلمس قلوبهم بأقرب الأساليب إلى واقع حياتهم "(٤٧).

---

(٣) تفسير المراغي / أحمد المراغي / (٢٩/ ٢٩)

(٤٥) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / (٢٣٩/١٨)؛ وانظر الكشف والبيان/ للثعلبي /(١٦/١٠)؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد / للواحدي/ (٣٣٧/٤)؛ معالم التنزيل / للبغوي / (١٣٧/٥)، زاد المسير / لابن الجوزي / (٣٢٢/٤)؛ فتح القدير/ للشوكاني / (٣٢٣/٥).

(٤٦) محاسن التأويل / للقاسمي / (٢٩٩/٩).

(٤٧) في ظلال القرآن/ سيد قطب / (٣٦٦٦/٦).

الفصل الثاني: الدروس والأحكام المستنبطة من قصة أصحاب الجنة

المبحث الأول: الابتلاء يكون بالخير كما يكون بالشر.

خلق الله ﷻ الحياة الدنيا، وجعلها داراً للابتلاء والتمحيص، فالعبد منذ ابتداء حياته إلى موته موضع اختبار من الله تعالى. يقول ﷻ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾] الملك/ الآية ٢[أي خلق موتكم وحياتكم ليظهر أعمالكم فيثيب من أحسن، ويجازي مَنْ أساء، وما تقليب حال العبد بين الرخاء والشدة، والخير والشر، واليسر والعسر إلاّ ابتلاءً قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾]الأنبياء: ٣٥[وقال: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾] الأعراف/ ١٦٨[يقول الإمام الطبري:" واختبرناهم بالرخاء في العيش، والخفض في الدنيا والدعة، والسعة في الرزق وهي الحسنات التي ذكرها جل ثناؤه، ويعني بـالسيئات الشدة في العيش، والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يقول ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينيبوا إليه ويتوبوا من معاصيه "(٤٨).

فالله تعالى يعامل العباد" معاملة المبتلي المختبر بالحسنات وهي النعم والخصب والعافية، والسيئات وهي الجدب والشدائد... وكل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة، أما النعم فلأجل الترغيب وأما النعم فلأجل الترهيب ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي كي يتوبوا "(٤٩). فالحكمة من هذا الابتلاء – بنوعيه – دفع الإنسان إلى التوبة والاستمرار على الطاعة، وأن تكون حياته كلها وفق منهج الله تعالى.

والابتلاء بالشر ظاهر للعبد، أما الابتلاء بالخير فلا يدرك حقيقته إلاّ مَنْ صَدُق إيمانه، وصفت سريرته، وأدرك أنه مسؤول عن كل ما تفضل الله به عليه من خير ليشكره أو ضرٍّ لينال أجر الصبر عليه، يقول الرسول ﷺ: (" عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ

(٤٨) جامع البيان / للطبري / (٢٠٨/١٣-٢٠٩).
(٤٩) مفاتيح الغيب / للرازي / (٣٩٥/١٥).

صَبَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ ". [٥٠]. ويعد الابتلاء بالخير أشد وأشق من الابتلاء بالشر؛ لأن" القيام بحقوق الصبر أيسر من حقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين "[٥١]، لذا ورد عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قوله:" بُلِينَا بِالضَّرَّاءِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَصَبَرْنَا، وَبُلِينَا بِالسَّرَّاءِ فَلَمْ نَصْبِرْ "[٥٢].

كذا فإن العبد لو وقع عليه الشر علم أنه بلاء وقابله بالصبر، أما حين يحصل له الخير فقد لا يظنه كذلك، يقول سيد قطب:" والابتلاء بالشر مفهوم أمره ليكشف مدى احتمال المبتلى، ومدى صبره على الضر؛ ومدى ثقته في ربه ورجائه في رحمته.. أما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان. إن الابتلاء بالخير أشد وطأة وإن خُيّل للناس أنه دون الابتلاء بالشر، إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر، لكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير، كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف لكن قليلين الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة، ويكبحون جماح القوة الهائجة في كيانهم، الجامحة في أوصالهم...) [٥٣].

من هنا كان أشد ما يخشاه ﷺ على أمته فتنة الخير والسعة، فقد صحّ عنه ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: "أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، قَالُوا: وَمَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ:" بَرَكَاتُ الْأَرْضِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ قَالَ:" لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ [٥٤]، لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، إِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ، فَإِنَّهَا تَأْكُلُ حَتَّى

---

(٥٠) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث صهيب ﷺ / كتاب الزهد والرقائق/ باب المؤمن أمره كله خير / (٢٢٩٥/٤) / ح [٢٩٩٩].

(٥١) تفسير الراغب الأصفهاني/ للراغب الأصفهاني / (١٨٥/١).

(٥٢) المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما / ضياء الدين المقدسي/ (١٢١/٣) برقم [٩٢١]؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم الأصبهاني/ (١٠٠/١)؛ الزهد/ لأبي داود السجستاني/ ص ١٢٣/ برقم [١١٣].

(٥٣) في ظلال القرآن / (٢٣٧٧/٤).

(٥٤) قال ابن حجر: " يؤخذ منه أن الرزق ولو كثر فهو من جملة الخير وإنما يعرض له الشر بعارض البخل به عمن يستحقه، والإسراف في إنفاقه فيما لم يشرع، وأن كل شيء قضى الله أن يكون خيراً فلا يكون شراً وبالعكس، ولكن يخشى على من رزق الخير أن يعرض له في تصرفه فيه ما يجلب له الشر. " فتح الباري / (٢٤٦/١١).

إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ وَبَالَتْ وَثَلَطَتْ [٥٥]، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ، إِنَّ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ "[٥٦].

ومن صور الابتلاء بالخير ما ابتلى الله ﷻ به أصحاب الجنة، يقول ابن عاشور:" وهي هنا تمثيل بحال المبتلى في إرخاء الحبل له بالنعمة ليشكر أو يكفر، فالبلوى المذكورة هنا بلوى بالخير ". [٥٧]، فإن الله ﷻ قد منح أصحاب الجنة أرضاً مليئة بمختلف الثمار والخيرات، وكان من حقه تعالى عليهم مقابلة نعمته بشكرها وأداء ما افترضه عليهم فيها، لكن كم من نعمةٍ كانت سبباً في طغيان صاحبها، واستحقاقه بذلك الطغيان أن تحل عليه عقوبة الله ﷻ وهذا ما حاق بأصحاب الجنة حين بخلوا بثمرها، وعزموا على منع الصدقة، وتقاسموا على ذلك فعاجلتهم عقوبة الله وحلت بساحتهم.

المبحث الثاني: التحذير من البخل[٥٨]، والحث على البذل والعطاء

أورد الله ﷻقصة أصحاب الجنة، وفيها بيان لحال البخلاء[٥٩]، وتحذير من عاقبة البخل؛ لأنه من أرذل الأخلاق وقد ذمَّه الله ﷻ في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ

(٥٥) قوله (اجترت) بالجيم، أي استرفعت ما أدخلته في كرشها من العلف فأعادت مضغه، وقوله: (فثلطت) بمثلثة ولام مفتوحتين ثم طاء مهملة، وضبطها ابن التين بكسر اللام أي ألقت ما في بطنها رقيقاً، والمعنى أنها إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت تحيّلت في دفعه بأن تجتر فيزداد نعومة ثم تستقبل الشمس فتحمى بها فيسهل خروجه فإذا خرج زال الانتفاخ فسلمت. المرجع السابق / (٢٤٧/١١).

(٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الرقاق/ باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها / (٩١/٨) / ح [٦٤٢٧]؛ ومسلم في صحيحه/ كتاب الزكاة. / باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا / (٧٢٨/٢) / ح [١٠٥٢] واللفظ له.

(٤) التحرير والتنوير / لابن عاشور / (٢٩ / ٧٩).

(٥٨) البخل لغة ضد الكرم والجود، وقد بخل بكذا أي ضَنَّ بما عنده ولم يَجُدْ، ويقال هو بخيل وباخل وجمعه بخلاء. المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة / مادة (بخل) / (٤١/١). وفي الاصطلاح عرفه الراغب الأصفهاني بأنه: " إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه " المفردات في غريب القرآن الكريم/ ص ١٠٩، وعرفه ابن حجر بقوله: " البخل هو منع ما يطلب مما يُقْتنى، وشرُّه ما كان طالبه مستحقاً، ولا سيما إن كان من غير مال المسؤول " فتح الباري/ (١٠/ ٤٥٧).

(٥٩) انظر: مجموع الفتاوى / ابن تيمية / (٦٩/١٦).

مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[سورة آل عمران/ الآية ١٨٠]، وقوله: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ [سورة محمد/ الآية ٣٨].

كما حذر النبي ﷺ أمته من هذا الخلق الذميم بقوله: (اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ [٦٠]فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) [٦١]، بل قد يصل البخل إلى أن يكون كبيرة من كبائر الذنوب يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" وهذان داءان عظيمان، الجبن والبخل قال ﷺ: (شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ: شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ) [٦٢]؛ ولهذا قد يكونان من الكبائر الموجبة للنار كما دلّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[سورة آل عمران/ الآية ١٨٠] "[٦٣].

والبخيل الذي يمنع ما لا ينبغي أن يُمنع، إما بحكم الشرع أو لازم المروءة تلحقه عقوبة بخله في الدنيا" فإنه لما كان محبوساً عن الإحسان، ممنوعاً عن البر والخير، كان جزاؤه من جنس عمله فهو ضيق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن[٦٤]، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تُقْضى له حاجة ولا يُعان على

---

(٦٠) الشح البخل مع الحرص، وفي الاصطلاح: " هو البخل بأداء الحقوق، والحرص على ما ليس له " شرح النووي على مسلم/ لشرف الدين النووي / (٢٢٢/١٦)، وقال الطبري: " الشح الإفراط في الحرص على الشيء" جامع البيان/ (٢٨٢/٩).

(٦١)رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه/ كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم/ (١٩٩٦/٤) / ح [٥٦].

(٦٢) أخرجه أبوداود في سننه / كتاب الجهاد / باب في الجرأة والجبن/ (٣/ ١٢) ح[٢٥١١]؛ وابن حبان في صحيحه / (٨/ ٤٢) / ح[٣٢٥٠]؛ والإمام أحمد في مسنده / مسند أبي هريرة ﷺ / (١٤/ ١٥)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على ابن حبان: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح غير عبدالعزيز بن مروان فقد روى له أبو داود وهو ثقة. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة / (٢/ ٩٨) "و هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال مسلم غير عبد العزيز ابن مروان بن الحكم وهو والد عمر بن عبد العزيز - وهو ثقة".

(٦٣) مجموع الفتاوى / (٢٨/ ٤٣٧).

(٦٤) ضيق العطن أي قليل العطاء، ضيق النفس فكنّى بالعطن عن ذلك. والأصل في العطن الموضع الذي تبرك فيه الإبل إلى الماء إذا شربت، وأبركوها عند الحياض ليعيدوها إلى الشرب. الزاهر في معاني كلمات الناس / محمد بن القاسم الأنباري/ (٣٩٣/٢).

مطلوب "[٦٥]، كذلك هم أصحاب الجنة فإنهم لما بخلوا بثمار جنتهم، وقرروا ألا يعطوا الفقراء منها شيئاً، ومكروا مكراً قصدوا به حرمان المساكين ما كان يجود به عليهم أبوهم لحقتهم عقوبة بخلهم، حيث سلبهم الله ﷻ النعمة وأتلف بستانهم الذي بخلوا به على إخوانهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند تفسيره لقوله الله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾[القلم/ الآية ١٧]:" فيه بيان حال البخلاء، وما يعاقبون به في الدنيا قبل الآخرة من تلف الأموال إمَّا إغراقاً، وإما إحراقاً، وإمّا نهباً، وإمّا مصادرة، وإما في شهوات الغي، وإما في غير ذلك مما يعاقب به البخلاء الذين يمنعون الحق. "[٦٦]

وتحذير الإسلام من الشح والبخل ليس فيه دعوة إلى الإسراف وتجاوز الحد المشروع في الإنفاق، بل ورد النهي عن تضييع المال، وإنفاقه في غير مصلحة، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾، وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ) [٦٧]، قال ابن حجر:" إن الأكثر حملوه على الإسراف في الإنفاق، وقيّده بعضهم بالإنفاق في الحرام، والأقوى أنه ما أنفق في غير وجوهه المأذون فيها شرعاً سواء كانت دينية أو دنيوية فمُنع منه؛ لأن الله جعل المال قياماً لمصالح العباد وفي تبذيره تفويتاً لتلك المصالح إما في حق مضيعها، وإما في حق غيره، ويستثنى من ذلك كثرة إنفاقه في وجوه الخير لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوّت حقاً أخروياً أهم منه "[٦٨].

وما أحسن المنهج الرباني الذي رسمه الله – تعالى – لعباده في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾[الفرقان/ الآية ٦٧]وقوله تعالى:﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[الأعراف: ٣١].

فإن إنفاق المال وبذله فيما يرضي الله تعالى من الواجبات والمستحبات وفق ذلك المنهج من توفيق الله تعالى للعبد، والعبد موعود عليه بالخُلْف، قال تعالى:

(٦٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب/ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية / تحقيق سيد إبراهيم/ ص ٣٣.
(٦٦) مجموع الفتاوى / (٦٩/١٦).
(٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الزكاة / باب قول الله تعالى: ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: ٢٧٣] / (١٢٤/٢) / ح [١٤٠٧]؛ ومسلم في صحيحه/ كتاب الأقضية/ باب النهي عن كثرة المسائل في من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو النهي عن منع حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه / (١٣٤١/٣) / ح [٥٩٣].
(٦٨) فتح الباري / (٤٠٨/١٠).

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾[سبأ: ٣٩] "أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب "(٦٩).

وفي الحديث: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) (٧٠)، قال القرطبي:" وهو يعم الواجبات والمندوبات، لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق هذا الدعاء إلا أن يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه ولو أخرجه "(٧١).

وقال الإمام النووي في شرحه للحديث:" قال العلماء هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق، وعلى العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك بحيث لا يُذَم، ولا يُسمى سرفاً، والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا، فإذا كان الإمساك عن المستحبات مذموم، فعن الواجبات ممن باب أولى "(٧٢)

والخلف على المنفق قد يكون في الدنيا أو في الآخرة، يقول الحافظ ابن حجر:" وأما الخلف فإبهامه أولى ليتناول المال والثواب وغيرهما، وكم من منفق مات قبل أن يقع له الخلف المالي فيكون خلفه الثواب المعدّ له في الآخرة، أو يدفع عنه من السوء ما يقابل ذلك "(٧٣)، أما التلف فهو نوعان حسيّ ومعنوي، التلف الحسي بأن يتلف المال نفسه كما أتلف الله جنة هؤلاء بأن سلَّط عليها آفة أحرقتها أو تتلف نفس صاحبه. والتلف المعنوي بنزع بركة المال أو فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها.

المبحث الثالث: العزم على السيئة سيئة يؤاخذ عليها العبد

يراد بالعزم أن ينوي العبد فعل المصيبة بقلبه، ويوطّن عليها نفسه، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن من عزم على المعصية، وسعى في حصولها جهده، ثم حيل بينه وبينها، وعجز عن فعلها فقد عمل بها، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ ﴾[البقرة/٢٢٥] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ [الأنفال/ ٧٠]، فعلق سبحانه وتعالى جزاءهم على ما حوته قلوبهم من الخير أو الشر.

---

(٦٩) تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير / (٤٦٢/٦).
(٧٠) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الزكاة/ باب قول الله (فأما من أعطى واتقى...) (١١٥/٢)/ ح [١٤٤٢]؛ ومسلم في صحيحه/ كتاب الزكاة/ باب في المنفق والممسك/ (٧٠٠/٢) / ح [
(٧١) فتح الباري/ لابن حجر / (٣٠٥/٣).
(٧٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ (٩٥/٧).
(٧٣) فتح الباري/ (٣٠٥/٣).

وممن ذهب إلى القول بالمؤاخذة على العزم الإمام القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني(٧٤)فقد نقل عنه الإمام المازري(٧٥) قوله:" إن من عزم على المعصية بقلبه، ووطن عليها نفسه مأثوم في اعتقاده وعزمه "(٧٦)؛ قال القاضي عياض: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب" (٧٧). ومن الأحاديث التي استدل بها على ذلك ما ورد في الصحيحين عن الْأَحْنَفِ بن قَيْسٍ ﷺ قال ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هذا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أبو بَكْرَةَ فقال أَيْنَ تُرِيدُ قلت أَنْصُرُ هذا الرَّجُلَ قال ارْجِعْ فَإِنِّي سمعت رَسُولَ اللَّهِﷺ يقول: (إذا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ في النَّارِ فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ هذا الْقَاتِلُ فما بَالُ الْمَقْتُولِ قال إنه كان حَرِيصًا على قَتْلِ صَاحِبِهِ) (٧٨)، قال الحافظ ابن حجر: "واستدل بقوله: (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه) من ذهب إلى المؤاخذة بالعزم، وإن لم يقع الفعل" (٧٩)، وقد سأل عبدالله بن المبارك(٨٠) سفيان الثوري(٨١) أيؤاخذ العبد بالهمة؟ فأجاب: إن كانت عزماً أوخِذ (٨٢)فمتى اقترن بالنية قول أو سعي تأكد الجزاء والتحق صاحبه بالعامل(٨٣).

---

(٧٤) الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر المعروف بابن الباقلاني، المتكلم على مذهب الأشعري، كان ثقة، أعرف الناس بعلم الكلام وأحسنهم خاطراً، وأجودهم لساناً وأوضحهم بياناً وأصححهم عبارة، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب. تنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية. توفي سنة ثلاث وأربع مائة في بغداد. تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي / (٣٦٤/٣)؛ وفيات الأعيان/ لابن خلكان/ (٢٦٩/٤/ سير أعلام النبلاء/ للذهبي (١٩٠/١٧).

(٢) المازري: أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي المالكي، أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه، كان إماما فاضلا متقنا، من مصنفاته كتاب (المُعلم بفوائد شرح مسلم) و(إيضاح المحصول في برهان الأصول)، وله في الأدب كتب متعددة، توفي سنة ست وثلاثين وخمس مائة وله ثلاث وثمانون سنة. وفيات الأعيان لابن خلكان / (٤/ ٢٨٥)؛ سير أعلام النبلاء / للذهبي / (٢٠ / ١٠٤-١٠٥).

(٣) المُعلِم بفوائد مسلم / محمد بن علي المازري / (١/ ٣١١)

(٧٧) انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ محي الدين بن شرف النووي/ (١٥١/٢).

(٧٨) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الإيمان، باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)/ (١٥/١) / ح [٣١]، ومسلم في صحيحه/ كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما / (٢٢١٤/٤) / ح [٢٨٨٨].

(٧٩) فتح الباري / (٣٤/١٣).

(٨٠) عبدالله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة، ثقة ثبت، فقيه عالم، جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير، من الطبقة الثامنة على ترتيب ابن حجر، مات سنة إحدى وثمانين بعد المائة وله ثلاث وستون سنة. تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلاني / (٤١٥/٢-٤١٧)؛ تقريب التهذيب/ لابن حجر العسقلاني / ص ٥٤٠؛ سير أعلام النبلاء / للذهبي / (٨/ ٣٧٨-٤٢١)

(٨١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد من رؤوس الطبقة السابعة وكان ربما دلَّس، مات سنة إحدى وستين وله أربع وستون. تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلاني / (١١١/٤)؛ التقريب / لابن حجر العسقلاني / ص٢٤٤؛ سير أعلام النبلاء / للذهبي / (٧/ ٢٢٩-٢٧٩).

(٨٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم/ عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي/ (٣٢٥/٢).

وهذا ما كان من أصحاب الجنة حيث عزموا على حرمان المساكين حقهم وأقسموا على ذلك، وقبل أن يشرعوا في تحقيق ما هموا به عاجلتهم عقوبة الله التي أذهبت جنتهم، يقول الطاهر بن عاشور: "وعجل لهم العقاب قبل التلبس بمنع الصدقة؛ لأن عزمهم على المنع وتقاسمهم عليه حقق أنهم مانعون صدقاتهم فكانوا مانعين" (٨٤)، وقال القرطبي: "وفي هذه الآية – يعني قوله: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾[القلم: ١٩]– دليل على أن العزم مما يؤاخذ عليه الإنسان؛ لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم" . (٨٥)

المبحث الرابع: العبد يُحْرم الخير بالذنب يجنيه

جعل الله ﷻ توالي الخيرات وكثرة البركات مترتبة على الإيمان به وتحقيق تقواه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف: ٩٦]، "فأخبر سبحانه أن العباد لو وحدوه واجتنبوا الشرك، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات لتبع ذلك من فضل الله ورحمته وإنعامه ما ذكر من بركات المطر والنبات" (٨٦) مما يأكل الناس والأنعام، ولوسع الله عليهم الخير، ويسره لهم من كل جانب.

كذلك جاء الوعد منه ﷻ لعباده المستقيمين على منهجه بكثرة الخيرات والمنافع، وسعة الرزق فقال ﷻ: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾[الجن: ١٦] "فإن العباد لو استقاموا على طريقة الحق والهدى، وكانوا مؤمنين مطيعين لوسع الله عليهم في الرزق وبسط لهم في الدنيا" (٨٧).

وكما أن طاعة الله ﷻ موجبة للرزق، جالبة لرغد العيش والحياة الطيبة فإن جُرأة العبد على المعاصي والذنوب، وإعراضه عن طاعة الله لها بالغ الأثر فيما يصيبه في هذه الحياة الدنيا من مصائب جلّت أم صغرت مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى: ٣٠]، فما يصيب الناس من مصائب في الدنيا في أنفسهم أو أهليهم أو أموالهم فإنما يصيبهم عقوبة من الله ﷻ لهم بما اجترحوا من الآثام واكتسبوا من السيئات، ويعفو منه عن كثير من تلك السيئات فلا يعاقبهم عليه.

---

(٨٣) المرجع السابق / (٣٢٠/٢).
(٨٤) التحرير والتنوير/ (٨٢/٢٩).
(٨٥) الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي / (٢٤١/١٨).
(٨٦) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لابن عطية الأندلسي / (٤٣٣/٢).
(٨٧) انظر: تفسير الطبري/ (٦٦٢/٢٣)؛ الكشف والبيان / للثعلبي / (٥٣/١٠).

يقول الحافظ ابن كثير: "مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى: ٣٠] أي من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها" (٨٨).

فما ضيق العيش والحرمان من التوفيق إلاّ ثمرة ذنوب العبد ومعاصيه فقد حكم الله بها على منْ خالف هداه حيث قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ طه: ١٢٤.

"أي في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبه يتردد فهذا من ضنك العيش" (٨٩). ولا شك أن المعاصي جميعها _ سواء أكانت في حق الله أم في حقوق العباد _ من أسباب ضيق الرزق ونكد العيش، حتى وإن أنعم الله على العاصي ببعض النعم _استدراجاً له _ فإنها لا تأتيه إلاّ منغصة منزوعة البركة بسبب ذنوبه ومخالفته، يقول ابن القيم الجوزية: "ومن عقوباتها – أي المعاصي – أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة وبالجملة أنها تمحق بركة الدين والدنيا فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما محيت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق." (٩٠)، وقال أيضاً: "ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم، وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب" (٩١).

وهذا ما حل بأصحاب الجنة فإنهم لما أقدموا على المعصية، وعزموا على حرمان الفقراء حقهم في مال الله عاقبهم الله بذنبهم، وحرمهم خير جنتهم وسلط عليها آفةً دمرتها وحولتها إلى سواد مظلم، فكانوا هم المختصين بالحرمان الأعظم ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ [القلم: ٢٧] إذ ليس حرمان المساكين بشيء في جانب حرمانهم.

(٨٨) تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير / (١٩٠/٧).
(٨٩) المرجع السابق / (٢٨٣/٥).
(٩٠) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي / ص ٨٤.
(٩١) المرجع السابق/ ص ٧٤.

المبحث الخامس: التضييق على العبد سبب في توبته

إن الله ﷻ إذ أحب عبده ابتلاه، وضيق عليه، وساق له الشدائد حتى يكون ذلك الابتلاء سببا في أوبته إلى طريق الحق ورجوعه إلى الصراط المستقيم، فما من محنة إلا ووراءها منحة من العزيز الحكيم، جاء في حديث أنس ﷺ أنه قال: قال الرسول ﷺ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٩٢)؛ فكل إنسان "لا يخلو من خطأ ومعصية، وتقصير في الواجب؛ فإذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا إما بماله، أو بأهله، أو بنفسه أو بأحدٍ ممن يتصل به؛ لأن العقوبة تكفر السيئات فإذا تعجلت العقوبة وكفر الله بها عن العبد فإنه يوافي الله وليس عليه ذنب قد طهرته المصائب والبلايا، حتى إنه ليشدد على الإنسان موته لبقاء سيئة أو سيئتين عليه، حتى يخرج من الدنيا نقياً من الذنوب وهذه نعمة؛ لأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، لكن إذا أراد الله بعبد الشر أمهل له واستدرجه، وأدرّ عليه النعم، ودفع عنه النقم حتى يبطر ويفرح فرحاً مذموماً بما أنعم الله به عليه، وحينئذٍ يلاقي ربه وهو مغمور بسيئاته، فيعاقب بها في الآخرة." (٩٣) لذا جاء قوله في ختام قصة أصحاب الجنة: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ ﴾ [القلم: ٣٣] عذاب أسوقه لعبادي في أي مكان في الأرض كهذا النوع، عذاب دفع لباب الله، وعذاب حملٍ على التوبة وعذاب سوقٍ إلى الطاعة، وعذاب رحمة ومحبة.

ومن هنا كانت النكتة البلاغية في نسبة الطائف إلى الله تعالى في قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾[القلم/ الآية: ١٩]؛ فإنه "لما كان هذا مقتاً في الصورة أخبر أنه لطفٌ وتربية في المعنى بقوله: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾، أي المعروف بالعظمة التي لا تحدّ، وبالإحسان إليك فهو جدير بأن يؤدب قومك ليقبلوا منك، كما أدّب أصحاب الجنة بما أوجب توبتهم" (٩٤).

فالعقوبات الحسية – باختلاف صورها – يوقعها الله على عباده تربية لهم لما لها من أثر في النفس، تدفعها إلى العودة عن غيها، وسلوك الطريق المستقيم إن كان في تلك النفس قابلية للهداية، وشاء الله هدايتها. وهكذا فإن عقوبة الله العاجلة لأصحاب الجنة كانت وراء توبتهم، ورجوعهم إلى ربهم، واعترافهم بما وقعوا فيه من الظلم حين قالوا:

---

(٩٢) الحديث رواه الترمذي في سننه/ كتاب الزهد/ باب ما جاء في الصبر على البلاء/ (٤/٦٠١) / ح [٢٣٩٦] وقال: حديث حسن غريب؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك/ (٤/٦٥١)/ ح [٨٧٩٩]؛ والبيهقي في الأسماء والصفات/ ص ١٥٤؛ والبغوي في شرح السنة (٥/٢٤٥)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة / (٣//٢٢٠) / رقم [١٢٢٠].

(٩٣) شرح رياض الصالحين / محمد بن عثيمين/ (١/٢٥٨-٢٥٩)

(٩٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / إبراهيم بن عمر البقاعي/ (٢٠/٣٠٨).

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩]، وكانت رحمة من الله ﷻ بهم؛ لأن من لم يعاقب في الدنيا مع ظلمه فهو استدراج من الله له، وإمداد له في غيه ليكون عقابه في الآخرة أشدّ وأنكى، يقول القشيري عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ۝٩٤ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الأعراف / ٩٤-٩٥]: "حركهم بالبلاء الأهون تحذيرا من البلاء الأصعب، فإذا تمادوا في غيهم ولم ينتبهوا من غفلتهم مدّ عليهم ظلال الاستدراج ووسع عليهم أسباب التفرقة مكراً بهم في الحال، فإذا وطّنوا على مساعدة الدنيا قلوبُهم وركنوا إلى ما سولت لهم من امتدادها أبرز لهم من مكامن التقدير وأنغص عليهم طيب الحياة واندق عنق السرور وشرقوا بما كانوا ينهلون من كاسات المنى، فتبدل ضياء نهارهم بسدفة الوحشة وتكدر صافي مشربهم بيد النوائب كما سبقت به القسمة" ([٩٥])، كذا فإن العقوبة الدنيوية وإن أذهبت أرضهم لكن بقيت لهم أنفسهم وأهليهم وبقية أموالهم، وهي خير لهم من عذاب الآخرة الذي يذهب بهذا كله.

من هنا ذهب أهل العلم إلى أن التوبة واجبة على كل مكلف من كل ذنب اقترفه للأمر بها في قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، يقول القرطبي: "وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وفي كل الأزمان" ([٩٦]). فعلى العبد أن يبادر إلى التوبة قبل أن يحال بينه وبينها بالموت إذ هي سبب الفلاح الذي هو حيازة الخير في الدنيا والآخرة. كذا فإن الله تعالى يفرح بتوبة عباده كما جاء في الصحيحين – من حديث أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : (لَلَّهُ أَفْرحُ بتَوْبةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سقطَ عَلَى بعِيرِه[٩٧]وقد أَضلَّهُ في أَرضٍ فَلاةٍ) ([٩٨])، يقول الشيخ ابن عثيمين: "ففي هذا الحديث دليل على فرح الله ﷻ بالتوبة من عبده، إذا تاب إليه، وأنه يحب ذلك محبة عظيمة، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا فإن الله غني عنا ولكن لمحبته – سبحانه – للكرم؛ فإنه يحب أن يعفو، وأن يغفر أحب إليه من أن ينتقم ويؤاخذ؛ ولهذا يفرح بتوبة الإنسان، ففي هذا الحديث حث على التوبة لأن الله يحبها وهي من مصلحة العبد"[٩٩].

(٢) لطائف الإشارات / (١/ ٥٥٢)
(٩٦) الجامع لأحكام القرآن / (١٩٧/١٨).
(٩٧) سقط على بعيره أي صادفه وعثر عليه من غير قصد فظفر به. فتح الباري / للحافظ ابن حجر / (١٠٨/١١)
(٩٨) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الدعوات/ باب التوبة/ (٦٨/٨) / ح [٦٣٠٩]؛ ومسلم في صحيحه / كتاب التوبة/ باب في الحض على التوبة والفرح بها / (٢١٠٥/٤) / ح [٢٧٤٧].
(٩٩) انظر شرح رياض الصالحين/ (١٠٢/١).

ومن ثمرات التوبة على العبد أنها سبب لتوالي الخيرات، ونزول النعم والهبات، وحصول البركات في الأموال والأولاد قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠ –١٢]، وهذا ما أنعم الله به على أصحاب الجنة حيث تفضل عليهم بقبول توبتهم وأبدلهم خيرا من جنتهم فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منها عنقوداً" (١٠٠)، وقال مجاهد: (إن هذه – يعني قولهم ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ – كانت توبة منهم فأبدلوا خيرا منها) (١٠١).

المبحث السادس: فضل العدل، والحث على القيام به

دلت قصة أصحاب الجنة على فضل العدل وأهميته، حيث وصف الله تعالى أحد أصحاب الجنة بكونه (أوسطهم) وقد ذهب معظم المفسرين إلى أن معنى الوسطية في الآية العدل، من ذلك ما ورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وغيره في معنى (أوسطهم) أي: أعدلهم وخيرهم (١٠٢)، وقال مقاتل: يعني أعدلهم قولاً "(١٠٣)، وقال القشيري:" أعدلهم طريقة وأحسنهم قولاً "(١٠٤) وبمثل قولهم قال معظم المفسرين(١٠٥).

وقد أمر الله تعالى بالعدل في مواضع كثيرة من كتابه منها قوله سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] وقوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[الشورى: ١٥]، ومن أجل تحقيقه والقيام به أرسل الله الرسل وأنزل الكتب قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ

---

(١٠٠) الكشف والبيان/ للثعلبي / (١٨/١٠)؛ معالم التنزيل/ للبغوي / (١٩٧/٨)؛ البحر المحيط/ لأبي حيان الأندلسي / (٢٤٤/٨).
(١٠١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ للنيسابوري/ (٣٣٩/٦).
(١٠٢) تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير / (٢١٤/٨)؛ وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن / للطبري / (٥٤٩/٢٣).
(١٠٣) تفسير مقاتل بن سليمان/ (٣٨٨/٣).
(١٠٤) لطائف الإشارات/ للقشيري / (٦١٩/٣).
(١٠٥)انظر بحر العلوم / للسمرقندي / (٤٨٣/٣)؛ الكشف والبيان/ للثعلبي / (١٧/١٠)؛ المحرر الوجيز/ لابن عطية الأندلسي / (٣٥٠/٥).

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] أي ليتعامل الناس بينهم بالعدل(١٠٦).

يقول ابن القيم:" إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي به قامت السماوات والأرض؛ فإذا ظهرت أمارات العدل وتبين وجهه بأي طريق كان فثمّ شرع الله ودينه، والله ﷻ لم يحصر طرق العدل وأدلته وعلاماته في شيء، ونفى غيرها من الطرق التي هي مثلها أو أقوى منها، بل بين ما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل وقيام الناس بالقسط فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين "(١٠٧).

وما كان الأمر بالعدل، والحث عليه إلا لفضله وأهميته، وأثره على البلاد والعباد، فبالعدل قامت السماوات والأرض، وهو قرين التوحيد إذ جمع الله تعالى بينهما في قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[آل عمران: ١٨]، والعدل أساس بناء الحضارات وبلوغها أوج عزها، ودعامة بقاء الأمم وبسطها نفوذها، واستقامة أمورها، واستتباب أمنها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم اكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام ". (١٠٨)

كما أن العدل إذا قامت به الولاة، وبسطوه على رعيتهم، ونشروه بين أفراد مجتمعهم كان ذلك سبب لحصول الخيرات والبركات؛ فعن وهب ابن منبه(١٠٩)- رحمه الله- أنه قال:" إذا همّ الولي بالعدل أدخل الله البركات أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق، وإذا همّ بالجور أدخل الله النقص في مملكته حتى في الأسواق والأرزاق ". (١١٠)

وفي سيرة عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله –(١١١) خير شاهد، فإنه حينما ملأ الأرض عدلاً كان يُطاف بالزكاة فلا يجدون لها مستحقاً، وحينما كتب إليه أحد ولاته كتابا جاء فيه

(١٠٦) معالم التنزيل / للبغوي / (٣٣/٥).
(١٠٧) بدائع الفوائد / ابن قيم الجوزية/ (١٥٣/٣).
(١٠٨) مجموع الفتاوى / (١٤٦/٢٨).
(١٠٩) وهب بن منبه بن كامل اليماني، أبو عبدالله الصنعاني، عنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، كان ثقة تابعياً، ولي قضاء صنعاء، من الطبقة الثالثة على ترتيب ابن حجر، مات سنة عشر ومائة؛ تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلاني/ (٣٣٢/٤-٣٣٧)؛ التقريب / لابن حجر/ ص ١٠٤٥؛ سير أعلام النبلاء / للذهبي / (٤/ ٥٤٤-٥٥٦).
(١١٠) بدائع السلك في طبائع الملك/ محمد بن علي الأندلسي/ ص ٢٢٧.
(١١١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم، أبو حفص القرشي الأموي المدني الدمشقي. أمير المؤمنين، ولد سنة ٦٠ وقيل ٦٣ هـ كان ثقة مأموناً، له فقه وعلم وورع، روى حديثا كثيرا وكان

(فإن مدينتنا قد خربت فإن رأى أمير المؤمنين أن يُقطع لها مالا يرمُّها [١١٢]به فعل)، فكتب إليه عمر (أما بعد، فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام). [١١٣]

ومما يروى أنه وُجد في خزائن بعض بني أمية صرّة حنطة أمثال نوى التمر مكتوب عليها هذا كان ينبت أيام العدل. [١١٤]

من هنا استحق الإمام العادل أن يكون أحد السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺقال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ). [١١٥]

ومن ثمرات القيام بالعدل نيل محبة الله ﷻ فقد قال ﷻ: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، وللعادل منزلة رفيعة عند ربه تبارك وتعالى، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: »إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا«. [١١٦]

ومن جملة الفوائد التي تضمنتها هذه القصة:

- إن منع الصدقات يزيل النعم ويخرب الديار، فقد جعل سبحانه الزكاة طهرٌ وتزكية قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣].

إماماً عادلاً، توفي سنة إحدى ومائة بدير سمعان عن تسع وثلاثين. تهذيب التهذيب لابن حجر / (٤٧٥/٧-٤٧٨)؛ التقريب لابن حجر/ ص ٤١٥؛ سير أعلام النبلاء للذهبي/ (١١٤/٥-١١٥).

(١١٢) رممت الشيء أرمه، وأرمّهُ رماً ومرمّةً إذا أصلحته، يقال: قد رُمَّ شأنه أي صلح. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ للجوهري/ (١٩٣٦/٥)، مادة (رمم).

(١١٣) انظر المجالسة وجواهر العلم / لأبي بكر أحمد بن مروان المالكي/ (٤١٢/٥) / رقم [٢٢٨٧]؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني/ (٥ /٣٠٥).

(١١٤) أوردها ابن القيم في زاد المعاد/ (٣٣٣/٤). وقال: " هذه القصة ذكرها الإمام أحمد في مسنده على إثر حديث رواه. "؛ وانظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية/ محمد بن مفلح المقدسي/ (٩/٣).

(١١٥) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الصلاة/ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد/ (١٣٣/١) / ح [٦٦٠]؛ وفي كتاب الزكاة / باب الصدقة باليمين/ (١١١/٢) / ح [١٤٢٣]؛ وكتاب الحدود/ باب فضل من ترك الفواحش/ (١٦٣/٨) / ح [٦٨٠٦]؛ ورواه مسلم في صحيحه /كتاب الزكاة/ باب فضل إخفاء الصدقة/ (٧١٥/٢) / ح [١٠٣١].

(١١٦) رواه مسلم في صحيحه/ كتاب الإمارة/ باب فضيلة الإمام العادل وعقوبه الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم/ (١٤٥٨/٣) / ح [١٨٢٧].

- إن من قدم شيئاً على طاعة الله والإنفاق في سبيله عذب به، أو ربما سُلب منه معاملةً له بنقيض قصده، يقول ابن تيمية:" وتضمن قوله (إنا بلوناهم... الآيات)عقوبة الظالم المانع للحق أو متعدي الحق، كما يعاقب الله مانع الزكاة وهو مناع الخير، وآكل الربا والميسر الذي هو آكل المال بالباطل؛ وكل منهما أخبر في كتابه أنه يعاقبه بنقيض قصده، فهنا أخبر بعقوبة تارك الحقوق، وفي البقرة بعقوبة المرابي، وهذه العقوبة تتناول من ترك هذا الواجب، وفعل هذا المحرم من المحتالين، كما أخبر في هذه السورة، وكما هو المشاهد في أهل منع الحقوق المالية والحيل الربوية من العقوبات والمثلات ". (١١٧)

- يؤخذ من قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[القلم/ الآية: ١٩] أن اكثر ما يصيب الناس من البليات، وما ينزل بهم من المصائب إنما يأتيهم حال غفلتهم وهم على غرة يؤيده قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨]، وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥ – ٤٧]، "يقول قتادة: بغت القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قوماً قط إلاّ عند سلوتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر به إلا القوم الفاسقون، وقال الحسن: من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له. "(١١٨)

- التحذير من منع الناس ما ينفعهم وأن هذا ظلم لهم، لذا جعل سبحانه من صفات المكذبين بالدين أنهم يمنعون الماعون.

- من الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق؛ فإن مخالفته وبال ورد نصحه سبب للهلاك وقد ظهر هذا المعنى في هذه القصة حين حذرهم أخوهم من تلك المعصية قبل أن يباشروها أو يحل عليهم عقابها؛ وكان لهم ناصحاً فلم يأبهوا بقوله ولم يقفوا عند نهيه فلما حاق بهم العذاب وأصاب أرضهم ما أصابها من البوار ذكرهم بنصحه لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، وقد كان هذا التذكير أحد أسباب عودتهم إلى جادة الطريق ولجوئهم إلى ربهم تائبين مرددين" ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[القلم: ٢٩].

(١١٧) مجموع الفتاوى/ لابن تيمية / (٧٠/١٦).
(١١٨) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد/ عبدالرحمن التميمي/ ص ٣٥٨.

- يجب على العبد أن يحذر من موافقة أهل المعاصي والظالمين، فإن الأخ لما نصح إخوته ولم يقبلوا منه لم يتركهم وشأنهم، ولم يتخلَّ عنهم بل سار معهم حيث ساروا فعمهم البلاء.

- شكر النعمة موجب لبقائها، وكفرها سبب لزوالها يقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وجاء عن ابن عطاء الإسكندري قوله: "من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها" [١١٩].

لذا ورد في قصة أصحاب الجنة قولهم: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾[القلم: ٣١]، قال ابن كيسان: "طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل وكانوا صالحين" . [١٢٠]

المبحث السابع: الأحكام الفقهية المستنبطة من قصة أصحاب الجنة

أولاً: على المزارع وقت الحصاد أن يقسم لمن حضره من المساكين ما تطيب به نفوسهم، ويجبر خواطرهم، يقول القرطبي: "على من حصد زرعاً، أو جذ ثمرة أن يواسي منها من حضره، وذلك معنى قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾[الأنعام: ١٤١]"[١٢١].

وقد اختلف المفسرون في المراد بالحق هنا، هل هو الزكاة المفروضة أم غيرها؛ ومرجع خلافهم أن لفظ (الحق) مجمل غير مبيَّن، فقد يراد به الزكاة الواجبة، وقد يراد به غير ذلك، قال أبو حيان: (والحق هنا مجمل، وقد اختلف فيه أهو الزكاة أم غيرها). [١٢٢]

وقد ذهب إلى القول بأنها الزكاة المفروضة في الثمار العُشْر ونصف العشر جماعة من أهل العلم [١٢٣]، وهو ما اختاره الجصَّاص وابن العربي، والواحدي، والسيوطي. [١٢٤]

---

(١١٩) التحرير والتنوير / لابن عاشور / (٥١٢/١)؛ بدائع السلك في طبائع الملك/ محمد بن علي الغرناطي / (٤٥٣/١).

(١٢٠) الكشف والبيان / للثعلبي / (١٧/١٠)؛ معالم التنزيل / للبغوي / (١٩٧/٨)؛ الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي / (٢٤٥/١٨).

(١٢١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / (٢٣٩/١٨).

(١٢٢) البحر المحيط / لأبي حيان الأندلسي / (٢٣٧/٤).

(١٢٣) ممن ذهب إلى هذا القول: أنس بن مالك رضي الله عنه، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وطاووس والحسن وجابر بن زيد وابن الحنفية والضحاك وسعيد بن المسيب وقتادة وزيد بن أسلم وابنه ومالك. انظر جامع البيان/ للطبري / (١٢//١٥٨-١٦١)؛ المحرر الوجيز / لابن عطية الأندلسي / (٣٥٣/٢)؛ الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي / (٩٩/٧).

(١٢٤) انظر: أحكام القرآن/ للجصاص/ (١٧٦/٤-١٧٧)؛ أحكام القرآن/ لابن العربي/ (٢٨٢/٢)؛ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ للواحدي/ ص ٣٧٨؛ تفسير الجلالين/ للسيوطي / ص ١٨٧.

في حين ضعف هذا القول القرطبي في جامعه من وجهين: (أحدهما: أن الآية مكية، وأن الزكاة إنما فرضت في المدينة. والآخر: أن الزكاة لا تُعطى يوم الحصاد، وإنما تعطى يوم ضم الحبوب والثمار). (١٢٥)

ومن أهل العلم مَنْ ذهب إلى أن المراد بالحق في الآية هو ما تُصُدِّق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجباً ثم نسخ بما فُرِض في زكاة الثمار من العشر ونصفه.

قال ابن حزم:" هو حق غير الزكاة، وهو أن يعطي الحاصد حين الحصد ما طابت به نفسه ولا بدّ، ولا حدّ في ذلك، وهذا ظاهر الآية وهو قول طائفة من السلف ". (١٢٦)

وهذا ما اختاره الطبري وأبو السعود والشوكاني وابن عاشور وغيرهم. (١٢٧)

وعلى كلا القولين فإن أصحاب الجنة قد عزموا على ترك واجب سواء أكان ذلك الواجب زكاة مفروضةً مقدرة، أم حقاً واجبًا غير مقدر لذا استحقوا أن تعاجلهم عقوبة الله سبحانه.

ثانيا: أن من قصد بالحصاد – قبل أوانه – الفرار من الزكاة فإنها لا تسقط عنه؛ إذ يعدّ هذا الفعل من باب الحيل لإسقاط الواجب عن فاعلها، والتحيل على إسقاط الواجب لا يسقطه كما أن التحيل على الحرام لا يبيحه؛ فإن العبرة في الأفعال بالمقاصد.

يقول ابن قدامة المقدسي:" وإن قصد بقطعها الفرار من الزكاة لم تسقط عنه؛ لأنه قصد قطع حق من انعقد سبب استحقاقه فلم تسقط "(١٢٨)، وفي المبدع" فإن قطعها قبله – أي قبل اشتداد الحبّ وبدوّ الصلاح في الثمر – فلا زكاة فيها إلا أن يقطعها فراراً من الزكاة فيلزمه لتفويته الواجب بعد انعقاد سببه أشبه العامل "(١٢٩).

وفي صحيح البخاري (باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع بين متفرقٍ خشية الصدقة)(١٣٠) قال المهلب:" قصد البخاري أن كل حيلة يتحيل بها أحد في إسقاط الزكاة فإن إثم ذلك عليه؛ لأن النبي ﷺ لما منع من جمع الغنم أو تفرقتها خشية الصدقة فُهِم منه هذا المعنى ". (١٣١)

(١٢٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي / (١٠٠/٧-١٠١).
(١٢٦) المُحلىَّ في الآثار/ (٤/٢١).
(١٢٧) انظر: جامع البيان/ للطبري / (١٧٠/١٢)؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ لأبي السعود/ (١٩٢/٣)؛ فتح القدير/ للشوكاني/ (١٩٢/٢)؛ التحرير والتنوير/ لابن عاشور / (١٢٠/٨).
(١٢٨) المغني في الفقه / (١٤/٣).
(١٢٩) المبدع في شرح المقنع/ إبراهيم بن محمد بن مفلح/ (٣٤٢/٢).
(١٣٠) صحيح البخاري/ كتاب الزكاة / (٢٣/٩).
(١٣١) فتح الباري/ للحافظ ابن حجر / (٣٣١/١٢).

من هنا استدلَّ أهل العلم بقصة أصحاب الجنة على أنّ منْ فرَّ من الزكاة، وقصد منع المساكين حقهم فإنه يعاقب لفعله ما حرم الله ﷻ، يقول الزركشي:" وهذه قاعدة لنا أن الحيل كلها لإسقاط واجب أو لارتكاب محرم باطلة.. وقد عاقب الله سبحانه من فر من الصدقة وقصد منع المساكين قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾القلم: ١٧ - ٢٤(١٣٢).

وفي الإكليل "قال ابن الفرس: استدل بها – أي قصة أصحاب الجنة- عبدالوهاب على أن من فر من الزكاة قبل الحول بتبديل أو خلطٍ فإن ذلك لا يسقطها، ووجه ذلك أنهم قصدوا بقطع الثمار إسقاط حق المساكين فعاتبهم الله بإتلاف ثمارهم" . (١٣٣)

ثالثاً: النهي عن الحصاد ليلاً.

لما شرع الله – تعالى – أن يُعطى الفقراء شيئاً من الثمار حال حصادها؛ جبراً لنفوسهم وسدًا لحاجاتهم كان الأولى أن يكون جني الثمار وحصادها نهاراً؛ لأنه الوقت الذي ينتشر فيه الناس والخروج فيه أسهل وأوضح، من هنا كره بعض أهل العلم الحصاد والجذاذ بالليل (١٣٤)؛ لئلا يخفى ذلك على المساكين. يقول الإمام مالك: "وكل قربة تتعدى إلى الغير فإنها لا تفعل ليلاً، إنما تفعل نهاراً؛ حيث ينتشر المحتاج ولو لم يكن في ذلك إلاَّ قصة أصحاب الجنة. ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[القلم: ١٧ – ١٨](١٣٥).

ووجه الدلالة من قصة أصحاب الجنة أن الله تعالى عاقبهم على عزمهم الحصاد ليلاً إذ أن هذا الفعل موجب حرمان الفقراء حقهم من الثمار، يقول أبو إسحاق الشاطبي:" تضمنت الأخبار بعقابهم على قصد التحيل لإسقاط حق المساكين بتحريم المانع في إتيانهم وهو وقت الصبح الذي لا يبكر في مثله المساكين عادة "". (١٣٦)

(١٣٢) شرح الزركشي على مختصر الخرقي/ (٤٥٩/٢).
(١٣٣) الإكليل في استنباط التنزيل / جلال الدين السيوطي/ ص ٢٧١.
(١٣٤) انظر المرجع السابق/ ص ٢٧١.
(١٣٥) المسالك في شرح موطأ مالك/ محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المالكي/ (١٩٨/٥).
(١٣٦) الموافقات/ للشاطبي / (٤٤٦/١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الرحمات وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد، فقد يسر الله ﷻ الانتهاء من هذا البحث، والذي ألقى الضوء على قصة أصحاب الجنة وأبرز ما فيها من هدايات وأحكام، وقد خلصت في خاتمته إلى عدة نتائج منها:

١. موضوع سورة القلم وأسلوبها يقتضي أنها نزلت بعد ظهور أمر النبي ﷺ وجهره بالدعوة إلى الله، لا كما قيل أنها السورة الثانية في ترتيب النزول.
٢. امتازت القصة القرآنية بالعديد من المميزات، وجاءت مسوقة لتحقيق الكثير من الأهداف.
٣. مثل الله تعالى لحال كفار قريش بحال أصحاب الجنة، لعرض الحقائق أمامهم في صورة محسوسة فتكون أدعى للاتعاظ والانزجار.
٤. الإنعام على العبد، وإرخاء الحبل له بالنعمة نوع من أنواع الابتلاء.
٥. الابتلاء بالخير أشد وطأة من الابتلاء بالشر ذلك أن كثيرا من الناس يصمدون أمامه، أما الابتلاء بالخير فلا يصمد أمامه إلا القليل.
٦. البخل من أراذل الأخلاق، بل كبيرة من كبائر الذنوب.
٧. الذنوب والمعاصي من أسباب محق البركة وزوال النعم.
٨. العزم على المعصية، والإصرار على فعلها مما يحاسب عليه العبد.
٩. العقوبات الحسية تدفع بالعبد إلى التوبة والرجوع إلى الحق.
١٠. أهمية العدل وضرورة إقامته في مختلف جوانب الحياة.
١١. يجب إخراج الزكاة في الحبوب والثمار.

ومن التوصيات التي يوصى بها حث الباحثين على النظر في قصص القرآن الكريم واستخلاص العبر منها كذا الاعتبار بالأمثال المضروبة في القرآن الكريم؛ فالسعيد من وعظ بغيره وإنني بعد هذا أشكر الله ﷻ وأسأله التوفيق لصالح القول والعمل، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

المراجـــع

١- الإتقان في علوم القرآن/ جلال الدين السيوطي/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ ط (بدون)، ١٣٩٤ هـ -١٩٧٤م/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢- آثار البلاد وأخبار العباد/ زكريا بن محمد بن محمود القزويني / ط (بدون) دار صادر – بيروت.

٣- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما/ ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي/ دراسة وتحقيق د. عبدالملك بن دهيش/ ط الثالثة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م/ دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، لبنان.

٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان/ محمد بن حبان/ حققه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط / ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / مؤسسة الرسالة- بيروت.

٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ محمد بن أحمد المقدسي/ ط الثالثة، ١٩٩١م – ١٤١١ه/ مكتبة مدبولي- القاهرة.

٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى /ط(بدون) / دار إحياء التراث العربي – بيروت

٧- الأسماء والصفات/ أحمد بن الحسين أبوبكر البيهقي/ تحقيق عبد الله الحاشدي/ ط الأولى/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م/ مكتبة السوادي- جدة، المملكة العربية السعودية.

٨- إعجاز القرآن/ أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني/ تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ط الأولى، ١٤٠٦ هـ/ مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة.

٩- الإكليل في استنباط التنزيل/ جلال الدين السيوطي/ تحقيق سيف الدين عبدالقادر الكاتب/ ط (بدون) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م/ دار الكتب العلمية –بيروت.

١٠- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم / عياض بن موسى بن عياض اليحصبي / تحقيق د. يحيى إِسْمَاعِيل / الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م / دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

١١- بحر العلوم/ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي / ط (بدون).

١٢- البحر المحيط في التفسير/ أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي/ تحقيق صدقي محمد جميل/ ط (بدون)، ١٤٢٠هـ/ دار الفكر – بيروت.

١٣- بدائع السُلك في طبائع الملك / محمد بن علي شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق/ تحقيق د. علي النشار/ ط الأولى، ت (بدون(/ وزارة الإعلام – العراق.

١٤- بدائع الفوائد/ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية/ ط (بدون) / دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان.

١٥- البرهان في علوم القران/ أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ ط الأولى، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م/ دار إحياء الكتب العربية – بيروت، لبنان.
١٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي / تحقيق محمد علي النجار/ ط (بدون)، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة.
١٧- البيان في عد آي القرآن/ عثمان بن سعد أبو عمرو الداني -/ تحقيق غانم قدوري الحمد/ ط الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م / مركز المخطوطات والتراث – الكويت.
١٨- تاريخ بغداد/ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي/ تحقيق د. بشار عواد معروف/ ط الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م/ دار الغرب الإسلامي – بيروت.
١٩- التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي / ط (بدون)، ١٩٨٤م/ الدار التونسية للنشر – تونس.
٢٠- تفسير الراغب الأصفهاني/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني/ تحقيق ودراسة د. محمد عبدالعزيز بسيوني/ ط الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م/ كلية الآداب – جامعة طنطا مصر.
٢١- تفسير القرآن العظيم/ أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي / تحقيق محمد حسين شمس الدين/ ط الأولى، ١٤١٩هـ/ دار الكتب العلمية- بيروت.
٢٢- تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي / ط الأولى، ١٣٦٥هـ -١٩٤٦م/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي - مصر.
٢٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ محمد سيد طنطاوي/ ط الأولى، ت (بدون) / دار نهضة مصر للطباعة والنشر- مصر، القاهرة.
٢٤- تفسير عبدالرزاق / أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني -/ تحقيق د. محمود محمد عبده / ط الأولى، ١٤١٩هـ/ دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٥- تفسير مقاتل بن سليمان/ أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي -/ تحقيق عبدالله محمود شحاته/ ط الأولى ١٤٢٣هـ/ دار إحياء التراث – بيروت
٢٦- تقريب التهذيب / ابن حجر العسقلاني / حققه وعلق عليه أبو الأشبال صغير أحمد الباكستاني / تقديم بكر أبو زيد / ط الأولى، ١٤١٦ه / دار العاصمة- الرياض.
٢٧- تهذيب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ اعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد/ ط الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م/ مؤسسة الرسالة – بيروت.
٢٨- تهذيب اللغة / محمد بن أحمد الأزهري/ تحقيق محمد عوض/ ط الأولى، ٢٠٠١م/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٩- جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم/ عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي/ تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس/ ط السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م/ مؤسسة الرسالة – بيروت.
٣٠- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي / اعتنى به وصححه الشيخ هشام البخاري/ ط (بدون)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م/ دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع – الرياض.
٣١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي / محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية/ ط الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م/ دار المعرفة – المغرب.
٣٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني / ط (بدون)، ١٤٠٩ هـ/ دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني/ ط بدون / دار الكتاب العربي – بيروت.
٣٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي/ ط (بدون)/ دار الفكر – بيروت.
٣٥- دراسات في علوم القرآن الكريم/ أ. د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي/ ط السادسة عشر، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م/ مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض.
٣٦- زاد المسير في علم التفسير/ جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي / تحقيق عبدالرزاق المهدي/ ط الأولى، ١٤٢٢هـ/ دار الكتاب العربي – بيروت.
٣٧- زاد المعاد في هدي خير العباد/ محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية / ط السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م/ مؤسسة الرسالة – بيروت، مكتبة المنار الإسلامية- الكويت.
٣٨- الزاهر في معاني كلمات الناس/ محمد بن القاسم أبو بكر الأنباري / تحقيق د. حاتم الضامن/ ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م/ مؤسسة الرسالة - بيروت.
٣٩- الزهد/ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني/ تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم وأبو بلال غنيم بن عباس/ قدم له وراجعه الشيخ محمد عمرو بن عبداللطيف/ ط الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م/ دار المشكاة للنشر والتوزيع – حلوان.
٤٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها/ محمد ناصر الدين الألباني/ ط الأولى/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.
٤١- سنن أبي داود/ سليمان بن الأشعث السجستاني/ تحقيق محمد محيي الدين/ ط (بدون) / المكتبة العصرية- صيدا، بيروت.

٤٢- سنن الترمذي/ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي/ تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض/ ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

٤٣- سير أعلام النبلاء/ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي/ حققه مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط / ط الثالثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م/ مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٤- شرح الزركشي على مختصر الخرقي / محمد بن عبدالله الزركشي/ ط الأولى، ١٤١٣ه – ١٩٩٣م/ دار العبيكان.

٤٥- شرح السنة/ الحسين بن مسعود البغوي/ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويشي/ ط الثانية/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م/ المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت.

٤٦- شرح رياض الصالحين / محمد بن صالح العثيمين/ ط الأولى، ١٤٢٦هـ/ دار الوطن للنشر – الرياض.

٤٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ إسماعيل بن حماد الجوهري/ تحقيق أحمد عبدالغفور عطار/ ط الرابعة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م/ دار العلم للملايين – بيروت.

٤٨- صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وايامه / تحقيق محمد زهير/ شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا/ ط الأولى، ١٤٢٢هـ/ دار طوق النجاة.

٤٩- صحيح مسلم المسمى بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ / مسلم بن الحجاج النيسابوري/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي/ ط (بدون) / دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ الحسن بن محمد النيسابوري/ تحقيق الشيخ زكريا عميرات/ ط الأولى، ١٤١٦ هـ / دار الكتب العلمية – بيروت.

٥١- فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبدالباقي / قام بإخراجه وصححه محب الدين الخطيب/ تعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز/ ط] بدون]، ١٣٧٩هـ/ دار المعرفة- بيروت.

٥٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ محمد بن علي الشوكاني / ط الأولى، ١٤١٤هـ/ دار ابن كثير- دمشق.

٥٣- فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد/ عبدالرحمن بن حسن التميمي/ تحقيق محمد الفقي/ ط السابعة، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م/ مطبعة السنة المحمدية- القاهرة، مصر.

٥٤- في ظلال القرآن/ سيد قطب إبراهيم / ط السابعة عشر، ١٤١٢هـ / دار الشروق- بيروت، القاهرة.

٥٥- القصة القرآنية هداية وبيان/ وهبة الزحيلي/ ط (بدون)، ٢٠١٠م/ دار الخير للنشر والتوزيع – دمشق.

٥٦- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه/ عبدالكريم الخطيب/ ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م / دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، لبنان.
٥٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن/ أحمد بن محمد الثعلبي أبو إسحاق / تحقيق محمد بن عاشور/ مراجعة وتدقيق أ. نظير الساعدي / ط الأولى، ١٤٢٢ه -٢٠٠٢م / دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان.
٥٨- لسان العرب/ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي/ ط الثالثة، ١٤١٤هـ/ دار صادر – بيروت.
٥٩- لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ عبدالكريم بن هوازن القشيري / تحقيق إبراهيم البسيوي/ ط الثالثة، ت (بدون)/ الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.
٦٠- مباحث في علوم القرآن/ مناع بن خليل القطان/ ط الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.
٦١- المبدع في شرح المقنع / إبراهيم بن محمد بن مفلح / ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م/ دار الكتب العلمية – بيروت.
٦٢- المجالسة وجواهر العلم/ أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي / تحقيق أبي عبيدة مشهور آل سلمان/ ط بدون، ١٤١٩هـ/ دار ابن حزم – بيروت، لبنان.
٦٣- مجموع الفتاوى / أحمد بن تيمية/ تحقيق عبدالرحمن بن محمد قاسم/ ط (بدون)، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة.
٦٤- محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي / تحقيق محمد باسل/ ط الأولى، ١٤١٨هـ/ دار الكتب العلمية – بيروت.
٦٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي / تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد / ط الأولى، ١٤٢٢هـ/ دار الكتب العلمية – بيروت.
٦٦- المحلى بالآثار/ علي بن أحمد بن حزم الأندلسي/ ط (بدون) / دار الفكر – بيروت.
٦٧- المسالك في شرح موطأ مالك/ القاضي محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي الأشبيلي المالكي/ قرأه وعلق عليه محمد السليماني وعائشة السليماني / قدم له يوسف القرضاوي/ ط الأولى، ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧م/ دار الغرب الإسلامي.
٦٨- المسالك والممالك أو مسالك الممالك / أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري، المعروف بالكرخي / ط (بدون)، ٢٠٠٤م/ دار صادر – بيروت.
٦٩- المستدرك على الصحيحين/ الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري/ تحقيق مصطفى عطا / ط الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م / دار الكتب العلمية - بيروت.
٧٠- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة/ د. عبدالكريم زيدان/ ط الأولى، ١٩٩٧م/ مؤسسة الرسالة – بيروت.

٧١- مسند الإمام أحمد/ أحمد بن حنبل/ تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون/ إشراف د. عبدالله التركي/ ط الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م/ مؤسسة الرسالة- بيروت.
٧٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ أحمد محمد الفيومي/ ط بدون/ المكتبة العلمية – بيروت.
٧٣- معالم التنزيل / أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي/ تحقيق عبدالرزاق المهدي/ ط الأولى، ١٤٢٠هـ / دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٧٤- المعجزات القرآنية / بديع الزمان سعيد النورسي/ ترجمة إحسان قاسم الصالحي/ ط الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م / العراق.
٧٥- معجم البلدان/ ياقوت بن عبدالله الحموي/ ط الثانية، ١٩٩٥م/، دار صادر- بيروت.
٧٦- المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات- حامد عبدالقادر – محمد النجار) / ط (بدون) / دار الدعوة.
٧٧- معجم مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني / تحقيق عبدالسلام هارون / ط(بدون) ١٣٩٩ه –١٩٧٩م/الناشر دار الفكر
٧٨- المُعْلم بفوائد مسلم / أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي / تحقيق الشيخ محمد الشاذلي / ط الثانية، ١٩٨٨ م /الدار التونسية للنشر.
٧٩- المغرب في ترتيب المعرب/ ناصر بن عبد السيد أبى المكارم بن علي الخوارزمي المُطَرِّزِىّ/ ط (بدون) / دار الكتاب العربي – بيروت.
٨٠- المغني/ لابن قدامة محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد المقدسي الحنبلي/ ط (بدون)، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م/ مكتبة القاهرة.
٨١- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير/ أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الملقب بفخر الدين الرازي / ط الثالثة، ١٤٢٠ هـ/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٨٢- المفردات في غريب القرآن / الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني / تحقيق صفوان الداودي / ط الأولى، ١٤١٢ه / دار القلم- دمشق.
٨٣- المفردات في غريب القرآن/ لأبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني/ تحقيق صفوان الداودي/ ط الأولى، ١٤١٢هـ/ دار القلم - دمشق.
٨٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ محيي الدين بن شرف النووي/ ط الثانية، ١٣٩٢ هـ/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٨٥- الموافقات/ إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي/ تحقيق أبو عبيدة مشهور آل سلمان/ ط الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م/ دار ابن عفان.
٨٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي / ط (بدون) / دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

٨٧- النكت والعيون/ أبو الحسن علي بن محمد البصري الشهير بالماوردي / تحقيق السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم / ط بدون/ دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.
٨٨- الوابل الصيب من الكلم الطيب/ محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية/ تحقيق سيد إبراهيم/ ط الثالثة، ١٩٩٩م/ دار الحديث- القاهرة.
٨٩- الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي / تحقيق الشيخ عادل أحمد، الشيخ علي محمد، د. أحمد صيره، د. أحمد الجمل، د. عبدالرحمن عويس/ تقديم د. عبدالحي الفرماوي/ ط الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م / دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.
٩٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ أحمد بن محمد بن خلكان/ تحقيق إحسان عباس/ ط (بدون)، ١٩٧١م/ دار صادر – بيروت.